النظام وحلفاؤه يستهدفون قافلة مساعدات للأمم المتحدة في حلب

تـقـاسـم أم تـقـسـيـم ؟!

لـمـاذا تخفي أمـريـكـا وروسـيـا بـنـود الاتّـفـاق الـذي تـمّ الاتّـفـاق عـلـيـه بينهما مـن أجـل سـوريـة؟ يـبـدو الأمـر أقـرب إلـى إخـراجٍ مـسرحيّ مبتذل ورخيص.

لا يمكن لأمريكا أن تخفي بنود هذا الاتّفاق عن بريطانيا، لأنّ التاريخ أخبرنا أنّ القضايا الاستراتيجيّة لا تصاغ إلّا في كواليسهما معاً، ولا يمكن لأمريكا أن تخفي هذا الاتّفاق عن إسرائيل، وخصوصاً أنّها المعنيّة فيه أوّلا، وهي التي يرجع إليها الجميع بدءاً من النظام وانتهاءً بالدول العظمى عند أيّ تصرّف نوعيّ في الساحة السوريّة، وليس من المعقول أن تخفي روسيا بنود هذا الاتّفاق عن الصين التي أقدمت وفي سابقة لم تعرفها السياسة الصينيّة من قبل على إرسال جنودها إلى سورية، وهو أوّل تدخّل عسكريّ مباشر لها في منطقة الشرق الأوسط.

قـد يـكـون مـن الـغـبـاء أن نـصـدّق أنّ تـركـيـا أدخـلـت جيوشها إلـى سوريةٍ دون موافقة روسيا وأمريكا، كما أنّـه من الغباء أيضاً أن نقتنع أنّ اشتراط أمريكا إعـادة فتح طـريـق «الكاستيلو» جـاء مـن أجـل سـواد عيون المدنيّين السوريّين المحاصرين في قسم من مدينة حلب.

وكيف يمكننا أن نفّسر هذا الصمت المشين عن التهجير الطائفيّ فـي المناطق المحيطة بمدينة دمـشـق؟ والـذي يدلّ بوضوح على أنّ صياغة ديموغرافيّةٍ جديدة يحاول الإيرانيّون تكريسها كأمر واقع، ولا أظنّ أبداً أنّ هذا التهجير الطائفيّ سمعت به روسيا وأمريكا من وكالات الأنباء فقط.

وهل يعقل أن تتمدّد القوّات الكرديّة في مناطق الجزيرة الـسـوريّـة، والـتـحـدّث عـن غـرب الـفـرات وشـرقـه، غير مـعـروف ومـدروس ومتّفق عليه بين أمريكا وروسـيـا؟

وما الذي حدث في الأيّام الماضية كي تصعّد إسرائيل هجومها في المنطقة الحدوديّة بين فلسطين وسورية؟ وهذه الكذبة الفاقعة حول أنّ عدّة قذائف قد سقطت في الجولان السوريّ الذي تحتله إسرائيل هي السبب، ثمّ يأتي أخيراً التهديد الإسرائيليّ عالي النبرة بأنّها ستستعمل كلّ الوسائل الممكنة لإسكات مصادر القذائف التي يتمّ الاتّفاق عليها مع إسرائيل قبل أن تطلق.

أمّا الفضيحة العار والمتمثّلة في إعلان النظام السوريّ وهو في أشدّ مراحله ضعفاً وتفككاً وانهياراً عن تصدّيه للطيران الإسرائيليّ، هذا الطيران الذي عربد وقصف وانتهك السيادة السوريّة عشرات المرّات، ولم يردّ عليه هذا النظام. إذاً مالذي دفعه إلى الكذب والقول إنّه أسقط طائرتين، وهو لم يتجرّأ حتّى على إطلاق طلقة واحدة عليها؟ هل يريد بهذا أن يعطي الإسرائيليّين مبرّرا لدخولهم في الفترة القادمة داخل الأراضي السوريّة؟؟.

يـبـدو أنّ إخـراج الفصل الأخـيـر مـن هـذه المسرحيّة المبتذلة كان من السطحيّة إلى حدّ أنّه لم يقنع أحداً، لكنّه وبما يشبه الفاجعة - وربّما بمنتهى الوقاحة - يخبرنا عن حقيقة صادمة وهي أنّ ما يجري الآن هو تقاسم سورية.

تـحـت شـعـار مـحـاربـة «داعـش» جـاءت كـلّ جيوش العالم إلى سورية، لكنّ هذه الجيوش وبمراجعة سريعة لتفاصيل الحرب اليوميّة لم تكن تهتمّ بـ «داعش» إلّا بين فترة وأخرى، وعندما يصبح الأمر أقرب إلى الفضيحة، فيسارعون إلـى إسكاتها بتفصيل لا يـقـدّم ولا يـأخّـر.

لعلّ الزمن هو الضاغط الأساسيّ على الأطراف الدوليّة لإخراج هذا الفصل الأخير بكلّ هذه الرداءة، ولعلّ إستهتار المخرجين البالغ بعقول المشاهدين والمتابعين تجعلهم يتغاضون عن الحدّ الأدنى من المعايير المهنيّة في التآمر وابتذال السياسة.

مايجري اليوم هو تقاسم صفيق ووقح للأرض السوريّة، تقاسم تحضر فيه إيران وإسرائيل وتركيا وروسيا وأمريكا في الواجهة، وربّما غيرها في الصفوف الخلفيّة، بينما يغيب عنه السوريّون، وتغيب عنه الدول العربيّة، والتي رفعت صوتها كثيراً خلال السنوات الخمس الماضية، لكنّها تخرس اليوم، لأنّها أصغر من أن تكون حاضرة في حفل الاختتام.

بسّام يوسف

الأمم المتحدة
تفشل حتى في دور "خيال المآتة"

تستمر فصول الملهاة الأممية، في يومين متتاليين، وبعد اتفاق مزعوم بين أميركا وروسيا، وبعد تفاصيل هدنة لم تعمّر طويلاً، يعود فريق عمل الأمم المتحدة ليمارس من جديد محاباة غير مبررة للنظام السوري، محاباة لا يمكن أن نقبلها حتى تحت بند الحيادية التي طالما تغنوا بها، والتي اعتبروا كل من يعترض عليها مارقاً وغير سوي إنسانياً..

في المعضمية المحاصرة، والتي بات الجوع ينهشها، والأوبئة تفتك بأهلها، تدخل قوافل المساعدات بإشراف أممي عبر حواجز النظام، بعد أن سرُق جزء منها، وتكفّل الصناديد ببعثرة محتويات المساعدات ليخلطوا الأكياس ببعضها، البرغل مع الملح والسكر والطحين، في مشهد يندى له الجبين، وفعل لا يقوم به إلا كل متوحش، مريض، منزوع الضمير، هكذا يتعامل جيش الوطن الذي يتغنى به وببطولاته بقايا اليسار المتورم، وهكذا تقف الأمم المتحدة أمام هذا المشهد ساكنة بلا حراك، بل وتسمح أن تتحول شحنة من المواد الغذائية قادمة من قبلها، وبإشرافها، إلى علف فاسد تأنف حتى الحيوانات أن تقبله!!!

وفي الطريق إلى حلب، قافلة مساعدات أممية، تعبر معابر النظام متوجهة نحو حلب المحاصرة، حسب اتفاقيات الإذعان الإنسانية التي تتكفل بها الأمم المتحدة ومبعوثيها، قافلة من عشرين شاحنة من المواد الغذائية، ترافقها طواقم الهلال الأحمر السوري، تتجه نحو قرية «أورم» لكن طيران ما، روسي، أو سوري، لا فرق يستهدف هذه القافلة بقذائف لا تبقي ولا تذر، لتحترق القافلة، ولتحترق المواد المرسلة للأهالي المحاصرين، ويرتقي أكثر من عشرة إلى السماء.

هل باتت طواقم الأمم المتحدة بحاجة إلى حملة حشد ومناصرة من قبل الأهالي المحاصرين في المعضمية وحلب، تضامناً ضد احتقارهم، وإذلالهم، وتهميشهم، من قبل الذهنية الشمولية للنظام السوري وحلفائه...

من المؤكد أن السيد بان كي مون سيقلق؟
من المؤكد أن بعض السادة الأمميين سيشجبون؟
من المؤكد أن الحادثتين ستمران مرور الكرام في عالم أعرج، سقطت فيه كل المؤسسات الأممية أمام طغيان المستبدين..

المحرر السياسي

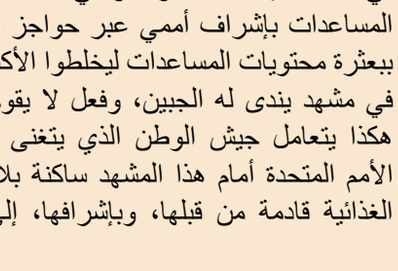
الاتّفاق الروسيّ الأمريكيّ والفرصة الأخيرة

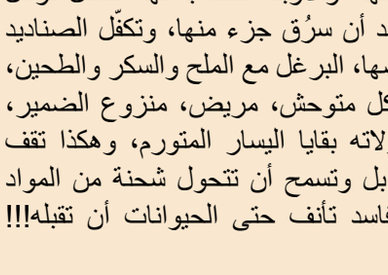
حوار العدد مع فؤاد إليّا

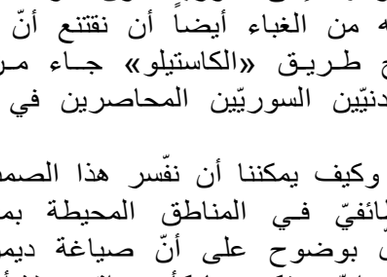
المرأة المقاتلة في صفوف وحدات حماية الشعب الكرديّة بين الواقع والأسطورة

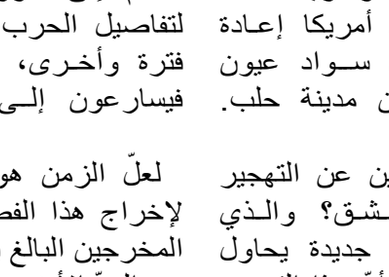
قصّة موت غير معلن

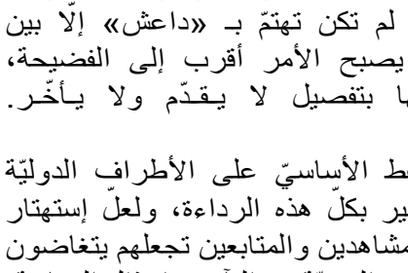
"دورة المحبّة" للكرة الطائرة تنطلق في ريف محافظة إدلب

الاتّفاق الـروسيّ الأمريكيّ والفرصة الأخيرة

هي هدنة، كفرصة أخيرة أمام الحلّ السياسيّ، أو أمام سورية الموحّدة على وجه التحديد، كتهديدات شبه معلنة بتخلّي الولايات المتّحدة عن دورها بدعم ذلك الحلّ.

في خطوة مكرّرة، يعود مهندسا المعضلة السوريّة للتوقيع على مخطّطات الهدنة من جديد، فربّما لم يجد أحدهما أو كلاهما في المرّة الماضية تلك التفصيلات التي كانت سبباً في انهيارها المفاجئ، أو ربّما غاب عن ذهن السيّدين كيري ولافروف التوقيت المناسب للبدء في تنفيذ الحلّ الـذي قدما خطوطه الواضحة منذ جنيف ٢٠١٢ مع بداية المعضلة، أو لربّما فرضت المتغيّرات الجديدة عليهما المسارعة إلى جنيف والخروج بما أسموه اتّفاقاً، قد يكون محمَّلا كما يلمّحون بالعديد من النقاط غير المعلنة، التي تتضمّن رؤية جديدة للحلّ الدوليّ الذي تتعثّر آليّة تنفيذه، أو قد لا يكون مختلفاً عمّا سبقه من اتّفاقات آنيّة، على الرغم ممّا يبدونه من متابعة مختلفة، وعمّا يقدّمانه من تمديدات وتهديدات، بغية التوصّل إلى وقف فعليّ لإطلاق النار والدخول في مفاوضات أكثر جدّيّة، للحفاظ على وحدة الأراضي السوريّة في إطار الحل السياسيّ.

إنّ ما حصل في محيط مدينة حلب من عمليّات عسكريّة متعاقبة، ومن تحشيد عسكريّ يشير إلـى اتّجاه آخـر للمعارك، ومـن حصارات متلاحقة تنذر بكوارث أفظع، قد يكون سبباً مباشراً للتوقيع على هذا الاتفاق؛ كذلك فإنّ توقيت الاتّفاق بعد أشهر من المفاوضات المطوّلة، يبدو وكأنّه بمثابة الردّ على ما جرى من تدخّلات عسكريّة أوسع، لا تمثّل سوى احتلالات إقليميّة للأراضي السوريّة، ربّما غضّ الطرف عنها لاستنزاف القوّة العسكريّة لحزب الله، الذي قام بتهجير سكّان مناطق ممتدّة من الزبداني حتّى القصير، لكنّه لم يعد ممكناً السكوت عنها كعمليّة احتلال شيعيّ إيرانيّ، تجسّدت في حصارات خانقة لبعض المناطق، مستهدفة التغيير الديموغرافيّ بمحيط مدينة دمشق، وفي استقدام آلاف المقاتلين من لبنان والعراق وإيران لخوض معركة حلب الكبرى، كما توّجت مؤخّرا بما قامت به القوّات التركيّة من تدخّل لإقامة منطقة عازلة، كنوع من الـردّ على إعلان فيدراليّة حزب الاتّحاد الديمقراطيّ من طرف واحد، تدخلاً لا يُستبعد أن يكون الهدف البعيد منه شكلاً من أشكال الاحتلال وبواسطة الآخر، في ظلّ ما سعت إليه الإدارة التركيّة ومنذ بداية الثورة السوريّة، من الضغط المتواصل لسيطرة الإسـلام السياسيّ على هيئات المعارضة المختلفة؛ وكذلك فإنّ الإعلان عن التوصّل إلى اتّفاق كأكثر من مسألة هدنه، يأتي على ما هو ظاهر في ظلّ التراجع الحاصل لقوّة تنظيم «داعش»، كنتيجة للحرب القائمة عليه من الموصل إلى شمال حلب، وكنتيجة لتزايد القوى المشاركة بهذه الحرب، تراجعاً يستوجب التنسيق الدوليّ لإنهاء ذلك التنظيم الإرهابي، الذي يمتلك كلّ الارتباطات والأدوات، لأن يكون ورقة بيد كلّ من يريد أن يستخدمها، وبالشكل الـذي لا يمكّن من القضاء عليه.

إنّ هذه الهدنة الحاليّة، لا تبدو مختلفة عن سابقتها، سواء من جهة الخروقات المتعدّدة ومن عدّة أطراف، أو بعدم التزام قوّات النظام في تنفيذها الفعليّ، بل وربّما تبدو أكثر هشاشة ممّا سبقها من هدن، لكنّها وكما هو معلن من قبل السيّد الأمريكيّ الذي وقعّ عليها، هي هدنة الفرصة الأخيرة، كفرصة أخيرة أمام الحلّ السياسيّ، أو كفرصة أخيرة أمام سورية الموحّدة على وجه التحديد، كتهديدات شبه معلنة بتخلّي الولايات المتّحدة عن دورها بدعم ذلك الحلّ، ما لم تمتثّل قوى المعارضة وداعميها من تركيا والسعوديّة لأوامرها ولمخططاتها، مشيرة إلى ما يجري على الأرض من عمليّات تقسيميّة، يمكن أن تتكرّس بسقوط تلك الهدنة وتراجع الحلّ السياسيّ، في حين أنّ نظرة الشريك الروسيّ الموقّع عليها تأتي من زاوية مختلفة، كعمليّة فصل بين المعارضة المعتدلة والقوى الإرهابيّة كما يركزّ في كلّ تصريحاته، داعياً الجانب الأمريكيّ للالتزام بذلك الفصل، ومذكّرا بضرورة النشر العلنيّ لبنود الاتّفاق، ملوّحا عبر ذلك بالرؤية الروسيّة الثابتة من الحلّ، المتمثّلة ببقاء الأسد على رأس السلطة، وبتقليص دور المعارضة إلى حدود المشاركة في حكومة وحدة وطنيّة، أو العودة الروسيّة لمزيد من الأعمال العسكريّة في حال فشل هذه الهدنة؛ لكنّه وعلى الرغم من تلك المواقف المتباينة والمشكلة لجوهر المعضلة السوريّة، فإنّ هذه الهدنة التي جاءت كوقف للأعمال القتاليّة من قصف جوّيّ واشتباكات عسكريّة في المناطق غير الخاضعة لسيطرة «داعش» بشكل عامّ، وفي المناطق المحيطة بمدينة حلب على وجه الخصوص، تشكّل المسألة الأهمّ في حياة السوريّين القابعين تحت مرمى النيران الكثيفة، بما تتضمّنه من هدوء نسبيّ ومن إدخال للمساعدات الإنسانيّة، حيث توقّفت الصواريخ الروسيّة وبراميل النظام، وحيث يجري العمل على سحب المسلحين من طريق الكاستيلو كأهمّ معبر للمساعدات الأمميّة القادمة من تركيا.

لاشكّ بـأنّ السعي لتحقيق وقـف الأعمال القتاليّة، ولو تدريجيًّا، ولو باتّفاقات دوليّة، هو البوّابة الوحيدة للعودة إلى المفاوضات من أجل التوصّل لحلّ سياسيّ، من هذا المنطلق فإنّ ما يقدّمه وزيرا خارجيّة روسيا والولايات المتّحدة هو العمل المطلوب، ولكنّ هذا العمل يستلزم كما لم يعد خافياً على أحد، أن تكمل إدارة هذين الوزيرين هذه الخطوة الهامّة، بخطوات توافقيّة أكثر أهمّيّة، لا أن يعودا بالمسألة السوريّة وكما في المرّات السابقة، بخطوات عديدة إلى الوراء، حيث بات واضحاً امتلاكهما شبه الكلّيّ لقرار الحرب السورية من كل النواحي، سواء في إقرار الهدن المتلاحقة كتوقّفات مؤقّتة، أو في استمراريّة المعارك وتسعير نيرانها حتّى بمشاركتهم المباشرة، أوفي اختيار مواقع وجبهات القتال وتوجيه الضربات العسكريّة نحو قوّة معيّنة ومحدّدة.

فعن أيّـة فرصـة أخيـرة يطالعنا السيّد كيـري، إذا كـانـت إدارتـــه هـي الداعمة والمشاركة في العمليّة التقسيميّة الجارية شمال البلاد؟! وعن أيّ حلّ سياسيّ يبحث السيد لافـروف، إذا كان الرئيس الروسيّ بمفرده هو من يقرّر بقاء الأسد أو رحيله؟!

لؤي حاج بكري

المجتمع وسلطة «داعش» في سورية

بهدف الـوقـوف على طبيعة السلطة في تنظيم «داعـش»، وعلاقتها مع المجتمع المحلي فـي مناطق سيطرة التنظيم في سورية، واستقصاء التغيرات الحاصلة في البنية الاجتماعية لهذه المناطق بعد سيطرة التنظيم عليها، واستنتاج مدى وطبيعة ارتباط المجتمع المحلي بسلطة التنظيم في سورية. نفذ وأشرف مرصد العدالة من أجل الحياة في دير الزور*، في شهر أيلول الحالي دراسة بعنوان: المجتمع والسلطة في مناطق سيطرة تنظيم «الدولة الإسلامية» في سورية، من إعداد الباحث: فيصل دهموش المشهور، في تجمع سوريون من أجل الديمقراطية. جـاءت الـدراسـة فـي ستة أقسـام ومقدمة وخاتمة، في المقدمة حُدد المجال الزماني والمكاني للدراسة ومصادرها وأهدافها، أمـا القسم الأول فهو المدخل المفهومي والنظري للمجتمع والسلطة. وفي ثانياً يذكر طبيعة المجتمع في تلك المنطقة، حيث يشمل المجتمع المحلي في مناطق سيطرة التنظيم على السكان المحليين في محافظتي دير الزور والرقة، والبالغ عدد سكانهما مليون وستمائة واثنان وتسعون ألف نسمة، ومليون وثمانية آلاف نسمة على الترتيب، ومناطق ريـف حلب الـشـرقـي: جـرابـلـس، منبج، الباب. البالغ عدد سكانها: ثمانمائة واثنان وستون ألفاً وخمسمائة وثلاث عشرة نسمة.

في ثالثاً، تدخل الدراسة في بنية « تنظيم الـدولـة الإسـلامـيـة ومجتمعه» ويفصل فيه على شكل: التنظيم/السلطة/الدولة.

فـمـجـتـمـع الـتـنـظـيـم يـتـكـون مـن:

١ – الـمـهـاجـرون، وهـم على نوعين: من غير العرب، ويتولى هـؤلاء مناصب قيادية، عسكرية وإداريـة، ويستفيد التنظيم من خبراتهم المهنية، في الدعاية الإعلامية بالدرجة الأولى، والنفط بدرجة ثانية، والقليل منهم تـز وجـوا مـن نساء المنطقة، وهذا النوع لا يختلط إجمالاً بالسكان المحليين.

أمـا النوع الثاني من المهاجرين فهم من العرب، وغالبيتهم من حاملي الجنسيتين التونسية والـسـعـوديـة بـالـدرجـة الأولـى، واحتكاكهم بالسكان المحليين أوسع نطاقاً، بحكم أنـهـم يتكلمون العربية، ولكونهم يشكلون جزءاً من أجهزة التنظيم المسؤولة عن مراقبة السركان، وتنظيم الأنشطة، وإصـدار الأحـكـام: أمـراء وعناصر جهاز الحسبة، قضاة المحاكم الشرعية، أمـراء القواطع والـدواويـن، إضافة إلى أن العديد منهم تـزوجـوا مـن أهـل البلد، ومـع ذلك تقتصر علاقاتهم بـذوي الـزوجـة فقط، وفـي أحـيـانٍ كثيرة يمنع الـزوج المهاجر زوجته من التواصل مع ذويها ومعارفها.

٢ - العناصر المحليون، وهـم السوريون المبايعون للتنظيم، سواء أكانوا من حاملي الفكر السلفي الـجـهـادي، أو المتحالفين مع التنظيم من أبناء العشائر، أو الأفـراد المرتبطة مصالحهم معه، وهم الأكثر عدداً.

وينقسمون إلى قسمين: الأول، هم السكان المحليون الموالون للتنظيم في محافظتي دير الـزور، الرقة. ومناطق ريف الحسكة، وريف حلب الشرقي، والثاني، هم المنتقلون مع التنظيم من مناطق ريف حلب الغربي وإدلـــب، والـعـلاقـة بين القسمين سيئة.

لذلك يقوم القسمان بدورين وظيفيين:

الأول، استخباراتي معلوماتي، يصب في خدمة السلطة، وجماعة التنظيم، ويتعلق بمعرفتهم لطبيعة مجتمعهم المحلي وعلاقاته ومواطن القوة والضعف فيه، وتحديد مكامن الخطورة على التنظيم من مجموعاتٍ وأفراد،

والثاني، الوساطة ما بين السكان المحليين ومجتمع السلطة، إذ يلجأ إليهم الأهالي لقضاء حاجاتهم وتسهيل معاملاتهم، ومعرفة أخبار أبنائهما لمعتقلين وفقاً لما يوفره الجهاز الأمني في التنظيم من معلومات، ويمنح التنظيم لبعضهم ميزة تزكية أفراد من السكان المحليين الـذيـن يرغبون بالانضمام إلى التنظيم، أو المتقدمين بطلبات» الاستتابة .»

وتستنتج الـدراسـة أن السلطة في التنظيم لا تغدو أكثر من نخبةٍ أيديولوجيةٍ دينيةٍ سياسية اقتصادية، تجمعها مصالح ودوافع مختلفة، وقـد تـبـدو متناقضة فـي أحيان كثيرة، ومنقسمة إلى ثلاث فئات أو طبقاتٍ ضمن هيكليةٍ محددة بوظائف ومهام عامة، وقابلة للتغيير وإعـادة توزيع الأدوار على عناصرها فـي الأجـهـزة التنفيذية، وغير منضبطةٍ سلوكياً بمؤسسات التنظيم.

في القسم الرابع من الدراسة، رصدٌ لتحولات نمط التدين فـي المجتمع المحلي. تقدر الدراسة عدد السكان المحليين بنحو مليونان وأربعمائة وخمسون ألفاً، ومليونان ومائة ألف نسمة. ويشكل الدين بعداً ثقافياً اجتماعياً لدى المجتمع المحلي عموماً، ويوصف نمط التدين السائد بالشعبي، وهو نمطٌ متنوع، وبعيد عن التشدد والإفـراط، ذلك أن نمط الإنتاج الـزراعـي، وطبيعة العلاقات الاجتماعية الريفيةلهمادورفي هذاالتحديد، إضافةإلىوجود نمط التدين الصوفي الذي يسود في المدن بشكلٍ رئيسيٍ، كما يوجد نمط تدين سلفي قليل العدد.

ورأت الدراسة أن شكل حضور الدين، بنمطه السلفي خصوصاً، كتجل فكري ومعرفي لأزمة الهوية لدى مجتمعات المنطقة التي تعرضت لهزات عنيفة ضربت بنيتها الاجتماعية وصدعتها، وفي ظل غياب أي سند فكري، أو إرث سياسي، إضافة إلى افتقاد الأدوات المعرفية لصياغة هويةٍ وطنية، يصبح الدين تعبيراً ملائماً عن الذوات، ويتمثل في الوعي الجمعي للمجتمعات الممزقة كهوية ناجزة.

فالمجتمع في مرحلة الأزمـة يتغير إطاره القيمي السائد أمام المشكلات والهزات العنيفة، وتبرز على السطح حركة العودة إلى الوجدان بكل معانيه المختلفة باسم العقيدة أو التراث أو الماضي في صورة أسطورية. بحسب الدراسة.

القسم الخامس والأكبر، والـذي شغل ربع حجم الـدراسـة (نحو ٦ صفحات مـن ٢٤ صفحة) تحدث عن سياسة التنظيم، وانه استخدم أسلوبين لفرضها على المجتمع،

الأول: هو (الفتح من الأعلى(حيث تستخدم الأصولية الإسلاموية الدين كإيديولوجيا سياسية بهدف خلق انسجام ما بين الدولة والمجتمع من جهة، والرسالة الإسلامية مـن جـهـةٍ أخـرى، مـتـذرعـة بخصوصية الـنـص والأصـــل كمثل سـيـاسـي أعـلـى.

والثاني: (لفتح من الأسفل) من خلال الحملات الدعوية، أو الفرض القسي للنمط الاجتماعي المشتق من الرؤية الدينية للحياة، بدون مراعاة الحريات العامة والشخصية ونطاق كلٍ منهما.

بعد اغتصابه للسلطة (الفتح من الأعلى)، باشر التنظيم بالعمل على أسلوب (الفتح من الأسفل).

وقسم سياسة التنظيم إلـى قسمين:

١-اجـتـمـاعـيـاً، وفـصـلـهـا عـلـى:

أ - جهة النمط الاجتماعي الديني المتماثل، وفـرض نمط التدين السلفي الجهادي في مناطق سيطرته عبر أسلوبين اثنين: الأول: إخـضـاع الغالبية العظمى من الـسـكـان الـمـحـلـيـيـن لـــدوراتٍ شرعية لتعليمهم أصـول الدين وفقاً للأيديولوجيا السلفية الـجـهـاديـة (الـعـقـيـدة، التوحيد).

والثاني: فرض أنماط سلوكيةٍ للسلفية بشكلٍ قسري.

ب - تطبيع الـعـلاقـات مـع المجتمع المحلي. ويلجأ التنظيم إلـى الـزواج من السكان المحليين لثلاثة أسباب رئيسية:

١- غالبية الفتيات أو النساء اللواتي تزوجن بعناصر التنظيم المهاجرين يرتبطن بعلاقة قربى مع العناصر المحليين في التنظيم.

٢ - ضغط ذوي الفتاة أو المرأة وإجبارها على الـزواج بسبب الحاجة المادية، أو من أجل الحصول على الحظوة والمكانة، وهو عـدد لا بـأس بـه مـن الـحـالات المحصاة، دفعت فـي إحـدى الـمـرات فتاة للانتحار.

٣ - الاغتراب وحالة اليأس التي تصيب الفتيات في ظل انعدام الخيارات الأخرى، ما يدفعها إلى الاستسلام للواقع، وهي حالات قليلة جداً أصرت فيها بعض الفتيات على الزواج من عناصر التنظيم المهاجرين رغم رفض ذويها.

ج – الـتـنـشـئـة الاجـتـمـاعـيـة.

٢ - اقـتـصـاديـاً. تصل الـدراسـة إلـى أن اقتصاد تنظيم «داعـش»، قائم أساساً على الاسـتـفـادة القصوى مـن جميع المصادر والـمـوارد المتاحة فـي مناطق سيطرته، وموجه بالمجمل لخدمة الأعمال الحربية والإعلامية والأيديولوجية للتنظيم، ويترك هامشا من الحرية لعناصره للاستفادة من سلطة التنظيم بعقد صفقات خاصة، لا يبدو أن التنظيم قادراً على منعها أو السيطرة عليها.

ولا يخصص أي جزء من ميزانيته لتقديم الخدمات للسكان المحليين، إلا نادراً، كتوزيع جزء يسير من المساعدات المالية على بعض العائلات الفقيرة في مناطق سيطرته من أمـوال) الزكاة(وهي مـرات قليلة عموماً.

في القسم السادس والأخير، دراسة عن العلاقة ما بين المجتمع المحلي و «تنظيم داعش»، ينظر إلـى المجتمع المحلي فـي مناطق سيطرته في سورية كمحكومين مجردين من حقوقهم السياسية واستقلالهم الاجتماعي، وخياراتهم الشخصية، وينظر إليهم كأعداء محتملين أيضاً، هم لم يحتضنوه، ولم ينتج منهم، بل قاوموه بضراوة، وغير مستجيبين لسياساته الساعية لإدماجهم في سلطته.

ولكن بذات الوقت، التنظيم لا تقتصر علاقته بالمجتمع المحلي على نمط علاقة سلطة مجتمع، وإنما يعمل أيضاً دون التنازل عن فوقيته وعنفه كسلطة- على التغلغل في البنية الاجتماعية للمنطقة عبر سياساته السابقة الذكر.

في خاتمة الدراسة، تم التأكيد على أن تنظيم «داعـش» ألحق ضـرراً بالغاً فـي البنية الاجتماعية في مناطق سيطرته، ولكنه لم يتمكن من بناء علاقات اجتماعية تربطه في المجتمع المحلي، ولم يستطع تحقيق تغيير جـذري في هـذه البنية الاجتماعية لصالح سيطرةً أيديولوجيته الدينية على حساب العصبية القبلية. لكنه استطاع ضرب البنية الاجتماعية من خاصرتها الـرخـوة، عبر استقطابه للعديد من الأطفال والمراهقين.

إعداد وتلخيص
صالح محمد زهراوي

الحروب مثاليّة الإقصاء

رغم الصعوبة والتماهي في تحديد شكل وفهم الإقصاء كسلوك (قاصياً أو مُقصياً)، لكن لا نستطيع سوى التسليم بأنّ الإقصاء هو في جوهره عمليّة اجتماعيّة؛ بمعنى أنّ إقصاء فرد أو مجموعة لا تتمّ إلّا ضمن بُنية مجتمعيّة تحمل قوانينها الذاتيّة التي تُنظّم ليس فقط حياة المجتمع بل تُنظّم الإقصاء نفسه وترتّبه ليكون له وجود مفهوماتيّ ممارس على البشر.

هكذا يكون الإقصاء تعريفيًّا، هو العمليّة الاجتماعيّة التي يتمّ بها تهميش الأفراد والمجموعات وحرمانهم من حقوقهم الحياتيّة مُغلفة بقوانين داعمة لمن يمارس الإقصاء سلوكيًّا.

ويتجلّى مفهوم الإقصاء بنمطين واضحين يتفرّع عنه فيما بعد الكثير من الأشكال تلك الأنماط والتي جذرها الأساسيّ أو بنيتها الأولى هي اختلاف الأفكار.

يتجلّى النمط الأوّل بالتركيز على الأفراد، الذي يسعى إلى بناء المجتمع كبنى دولة، ممّا يخلق التشابه ويؤدّي إلى القضاء على الفرد وصهره في بوتقة العمل الشامل.

والثاني الذي يُقلّل من شأن السلطات الكلّيّة ويوازن بين التهميش والفرد باعتباره حالة خاصّة، ممّا يؤدّي إلى الشرخ التنظيميّ للمجتمع يتجسّد بشكلين، أوّلهما هم الأفراد المنبوذون من شموليّة المعرفة التنظيميّة، وثانيهما هم الأفراد الخادمون للبنيّة التنظيميّة.

لكن مع ذلك يبقى الإقصاء بالنمط الثاني أخفّ وطأة من النمط الأوّل، لأنّ ما يحكمه هو القانون المدنيّ الذي يعطي للفرد الطبيعيّ الحرّيّة المحدودة، رغم سوء النمطين وحقارتهما.

تلك هي الثيمة الأساسيّة للإقصاء، لكن بالطبع لا تتوقّف هنا، بل تنطلق لتصبح أوسع وأشمل ممّا تؤدّي غايتها بالممارسة انطلاقاً من الأفراد للوصول إلى المجموعات بأشكالها كافّة، الإثنيّة والسياسيّة.

يتجذّر مفهوم الإقصاء، منذ اللحظة الأولى، في عمليّة الأدراك البشريّ للمعرفة (المعلومة)، والتي يُعبّر عنها اجتماعيًّا - بامتلاك الحقيقة - للفرد أو للمجموعات. من هنا تنطلق إحدى الثيمات الأساسيّة للتدمير البشري.

إنّ الشعور بالإقصاء والتهميش والمظلوميّة، التي تنبع من فكرة امتلاك الآخر للحقيقة، واستغلال تلك الحقيقة (معرفة \ اقتصاد \ سياسة \ أخلاق \ دين) تؤدّي جدلاً إلى انفجار لاحق متمثّلا بالانتفاضات والحركات الشعبيّة والثورات التي تنشأ تحت مسمّيات عديدة، وأوّلها السعي إلى الحرّيّة، لكن ذلك السعي يتجسّد بامتلاك المنتفض برؤيته الخاصّة لامتلاكه الحقيقة كـ «ضدّ»، ما يؤدّي إلى إعادة تشكيل وصناعة مفهوم الإقصاء كصيغة جديدة على المستوى الاجتماعيّ، إنّها بدقّة عمليّة إنتاج ذهنيّ جديد للسلوك البشريّ.

ويأتي المُعبّر عنها بالحروب، فالحرب هي الصيغة الأعلى والمثاليّة للإقصاء والتهميش.

يمكن التعبير عن النمط الأعلى للإقصاء (الحرب): أنّها تدمير للتطوّر البشريّ المعرفيّ بعمليّة التخلّص من العنصر الجينيّ المضادّ غير المرغوب به، ممّا يؤدّي إلى تفكيكيّة اجتماعيّة من الداخل ومغايرة لما يؤمن به طرفا النزاع بامتلاكهما للحقيقة، ممّا توحي به عمليّة بناء مجتمعيّ وهميّ.

بالطبع، ليس المقصود هنا وضع شروط أوليّة لعمليّة الانتفاض لتحقيق العدالة المشروعة للناس لأنّه وبطبيعة الحال، يبقى الطرف المقصيّ دائماً يعيش ضمن عبوديّة ذهنيّة متجذّرة في التاريخ سلفاً، فلا يمكن له فهم أيّة شروط موضوعيّة لحركة التاريخ، لكنّ المقصود بالضبط محاولة فهم البُعد التدميريّ للإنسان لاحقاً وتلافيه، والوقوف قليلاً للتفكير في منهج بنائيّ للحفاظ على الإنسان من التلاشي، وعدم الغوص نحو القاع.

يقول المفكّر الاجتماعيّ والعالم الطبيعيّ الأمريكيّ «هنري ثيورو» في مجمل نظريّته حول العبوديّة:

«يمتلك البشر الوقت الكثير وهم يفكّرون في عبوديتهم لعشرات ومئات السنوات، وهم يتحدّثون عن سقوطهم الإنسانيّ، دون محاولة بذل أيّ جهد للنهوض كتدرّج معرفيّ سيؤدّي حتماً لو مورس إلى إنهاء العبوديّة، لكنّهم بدلاً من ذلك يتحوّلون إلى خدماء أجلّاء وعبيد مطيعين، وعندما يصلون إلى مرحلة عدم التحمّل ينفجرون بحرب تؤدّي إلى القضاء على الآخر جينيًّا.

في تلك اللحظة لن يبقى التفكير في السقوط الإنسانيّ تفكيراً، بل سيصبح واقعاً حيًّا سيترك أثره التدميريّ في النفس البشريّة لمئات الأعوام وقد تستمرّ لآلاف الأعوام، وتوارث تحطيماً للأجيال اللاحقة».

رغم راديكاليّة هذه الفلسفة، لكنّها دقيقة إلى درجة يمكن لنا التمعّن قليلاً في المجتمع الأمريكيّ لنشاهد بعد مضي أكثر من قرن ونصف على التحرّر الأمريكيّ، وسيادة القانون والحرّيّات الليبراليّة الحديثة، مازالت تأثيرات الحرب جينيًّا قائمة في عملية الإقصاء والتمييز داخل المجتمع الأمريكيّ في العصر الحديث.

قد لا يقبل منظّرو السياسة الحديثة بهذه النظرة الجينيّة، وقد يعتبرونها ضرباً من ضروب الحماقة الفكريّة. وبخلاف ذلك فما يهمّنا هنا هو المثال الذي أتينا به لنعود في الحديث إلى نقطة سابقة، وهي أنّ الحرب قمّة الفعل الإقصائيّ الذي يؤدّي إلى دمار الإنسان.

فالحرب لا تتوقّف عند الإقصائيّة الفردانيّة والجماعيّة بالنفي، بل تتجذّر لتطوير ذلك المفهوم بشكل سلبيّ، يؤدّي إلى أقصى أشكالها المتطرّفة المتجسّدة بفعل الموت.

فالتجمّعات مثلاً، كالقوميّات الصغيرة داخل بلدان معيّنة أو ديانات أقلّيّة أو فئات اجتماعيّة كالمثليّين ومرضى الإيدز والقوانين الذاتيّة للتجمّعات القبليّة.. إلخ، عندما يعيشون في وضع سلميّ، فإنّهم يتحوّلون إلى فئات تُقصى بعمليّة النفي الاجتماعيّ، لكن في الحروب يصبحون أمواتاً.

وما يُثير الاشمئزاز في تطوّر مفهوم الإقصاء أثناء الحرب، أنّ المفهوم يتوسّع ليشمل الجميع بمن فيهم الكثير من معارضي العمليّة الإقصائيّة أثناء الوضع السلميّ للمجتمعات، فيصبح الكلّ مساهماً داخل فوضى من الإقصائيّات الشاملة والمضادّة، وبالطبع هناك ناجون من تلك الكارثة الإنسانيّة، فيحتفظون بعقلانيّتهم إزاء ذلك الجنون التهميشيّ، لكنّهم لا يدركون أنّهم تدريجيًّا يتحوّلون كصيغ اجتماعيّة إلى الفئة القليلة التي سيُمارس عليها لاحقاً الفعل الإقصائيّ داخل الحرب، لأنّ الأكثريّة اندرجوا داخل بوتقة فوضى الإقصاء الشامل، فتصبح تلك الفئة العقلانيّة هي الهدف الأساسيّ والمطلوب لمفهوم الإقصاء والموت.

قد يبدو هذا الكلام عبارة عن متاهة لا تنتهي داخل الذهن، وقد تُصيب النفس البشريّة بالإحباط، وقد يبدو أنّ حلّ مثل هذه المسألة شائك جدًّا، لكنّ الهدف من الكتابة عن أمر كهذا ليس للوصول إلى حلول طوباويّة أثناء الحرب، بل محاولة تسليط الضوء للوقوف عند بعض الأشياء والتفاصيل الفكريّة البسيطة لعلّنا نخرج حقًّا من هذا الدمار الكلّي المحيط بنا بأنماط تفكيريّة حديثة تؤدّي إلى تحقيق غاية بشريّة مثاليّة.

أخيراً، ليس المقصود بالتفكير للبحث عن حلّ في مفهوم الإقصاء هو المهادنة مع المستعبِدين، بل تخفيف السلوك الإقصائيّ مع أصحاب التوجّه الواحد.

علي الأعرج

التعصّب و كيف يتم تأجيجه بإسم محاربته

تمثّل الأصولية الدينية الممتدة عبر العالم والأخبار اليومية المرعبة حول العنف الناجم عن الإرهاب إحدى الظواهر الباعثة على القلق في عصرنا.

فأي حقد تعصبي غير معقول يدفع أناس، ينطقون باسم الله، إلى تحويل طائرة ركاب إلى صواريخ كروز أو يجزون رؤوس الأبرياء أمام الكاميرا أو يطلقون النار على ظهور أطفال مدرسة هاربين؟

يتملكنا الخوف والغضب فيما يتعلق بتحقيق آخر إمكانات الشر.

علينا أن نتعلم كره السلوك الشرير، من دون أن نتحول بأنفسنا إلى مبررين فظيعين أو قضاة زوريين (بارانوئيين).

فجعل «القوى الشريرة» في العالم الثالث هي وحدها المسؤولة عن تفجر الوضع العالمي الراهن، وكأنه لم يحدث في أوروبا حرق للسحرة أو الهمجية الفاشية أو وكأن أسلحة الدمار الشامل لم تطبخ في مطابخ سم القوى الكبرى، سوف يمثل ادعاء خطيراً بالعصمة.

فالاعتراف بميولنا التعصبية كلها لابد وأن يشكل اليوم الشرط الأساسي لكل حوار إنساني.

ولكن ما الذي يكمن خلف النزعة الإنسانية للتعصب؟

كيف يمكن أن تتكرر باسم الدين أشد أشكال العنف، ما الذي يحول مناضلو الحرية إلى متعصبين قساة، هل تقود الجماهير نفسها إلى حتفها؟ وبغض النظر عما إذا كانت الجرائم والضلال تبدو مرضية (باثولوجية pathological) أو جرمية، فعلينا ألا نقلل من قيمة جانب التأثر الديني المنحرف.

ففي الكلمة «التعصب» تكمن «fanum».

وبالأصل كان «fanatici» هم الذين تحولوا في محيط المعبد من قبل عفريت إلى حالة من الحماس المستعر.

فالأمر يتعلق بإمكانية رهيبة «للحالة الإنسانية Conditio humana»، بالانزلاق في شر لا يرحم، قهري ومطلق إلى حد ما.

لقد شهَّر مفكرو التنوير وفي مقدمتهم فولتير بعدم التسامح والانتقام وعدم الحب عند المتعصبين والاندفاع المغلف بالكره للتعصب المقدس.

إلا أن محاولة تحقيق النظام السياسي المحكوم بالمنطق بالقوة، أو فصل الروح عن جذرها اللاعقلاني الغامض يوقظ أشباح جديدة.

ومع المحاكم الثورية وحفلات الردح القومجي في العصر الراهن والسيناريوهات الكابوسية للدول الشمولية والحرب الشاملة حل التعصب الديني محل التعصب السياسي، وغالباً ما كان هذا التعصب الديني متجاوزاً التعصب السياسي بالبشاعة والاستعداد البارد للتدمير.

ويبدو أن الإرهاب الراهن قد اتخذ لنفسه منبعاً جديداً كلية، ويظهر بوحشية جبارة حاصداً عدداً كبيراً من الأرواح.

فما العمل ضد ظاهرة تتنصل من كل قيم التسامح واللاعنف؟

«فالحرب ضد الإرهاب» هي دمار مستحيل وتؤجج ذلك التعصب بالذات الذي تريد محاربته.

كما ينبغي للنضال ضد الفقر والحرمان وفقدان المعنى ينبغي أن يتحول لواجب عالمي بمقدار الدراسة الأعمق لاستعداداتنا للتعصب والعنف اللاعقلانية.

ولكن «من يده في النار غير الذي يده في الماء».

إذ أن التعصب في الإنسان بالذات يتجلى بأشكال وألوان مختلفة، ويرتبط بدوافع متنوعة وقد يتستر بمظهر حذق، بحيث يكون من الصعب الوصول إلى تعريفات وتفسيرات علمية موحدة أو حتى تقديم وصفات. ومن المؤكد أن نشوء وتفاقم الظواهر التعصبية يرتبط بدرجة كبيرة بالفقر والتقفير والأزمات الاقتصادية، إلا أنه لا برجوازيي منظمة الألوية الحمراء ولا معتدو الحادي عشر من سبتمبر ذوي الأوضاع الجيدة كانوا مدفوعين بأية أزمة اقتصادية في أفعالهم الجنونية.

ومازال حتى الآن أولئك الذين يتحجرون بهذا الشكل إلى درجة أنهم يبدؤون برؤية الموت والقتل وسيلة مشروعة لجهادهم بعض من قلة.

وقد يستطيع التحليل النفسي وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية وعلماء التاريخ أن يقدموا مساهمتهم المثمرة في السؤال عن الاستعداد النفسي بالتحديد وعن الدوافع اللاشعورية الكامنة خلف الانفجار التعصبي المفاجئ إلا أنه يظل هناك شك في أن ينزلق المرء في خطر التقليل من هول الأمر والإساءة للضحايا.

ولكن ترك الظاهرة في مجال القوى الغيبية قد يعني الغدر بأحد أوجب المطالب للتفسير.

ويظل واجبنا بفتح سراديب الفهم المنطقي في العواطف الإنسانية الأعمق والأكثر وحشية، مع معرفتنا بأننا سنعثر يوماً ما على منطقة الشر المفجع.

ماهر الحاج محمد

حوار العدد مع فؤاد إيليّا

إعـــلان دمـشـق لـلـتـغـيـيـر الـديـمـقـراطـيّ* كـيـف كـــان ؟ وأيـــن هـــو الآن ؟

إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي
Damascus Declaration for National Democratic Change

تولّد المالكيّة في محافظة الحسكة عام ١٩٤٣، عمل مدرّساً لمادّة التاريخ، انتسب إلى صفوف الحزب الشيوعيّ السوريّ عام ١٩٥٨، مارس نشاطه ضمن صفوف الحزب الشيوعيّ في الحسكة، ثمّ انتقل إلى حلب عام ١٩٦٥، شغل منصب عضو مكتب تنفيذيّ في اتّحاد الشباب الديمقراطيّ، وانتقل إلى صفوف المكتب السياسيّ بعد انشقاقه عن الحزب الشيوعيّ جناح خالد بكداش عام ١٩٧٠، وانتخب عضواً في منطقيّة حلب للمكتب السياسيّ، اعتقل عام ١٩٨٠، قبل الحملة التي شنّها النظام على المكتب السياسيّ، وبعد التضييق الشديد سافر إلى الجزائر حتّى عام ١٩٨٦، شارك في المؤتمر السادس للحزب كعضو مؤتمر عام ٢٠٠٥، تابع نشاطه في صفوف الثورة السوريّة ووقّع على بيان نداء حلب في بداية الثورة، وانتخب أميناً عاماً لإعلان دمشق في مؤتمر غازي عينتاب عام ٢٠١٥

لماذا كان إعلان دمشق وكيف ومتى تأسّس؟

إيليا: جاء إعلان دمشق تلبية للإرهاصات التي نشأت بعد وفاة الأسد الأب عام ٢٠٠٠م, إذ ظهرت بوادر الانفراج الأمنيّ في أواخر عهده وتوضّحت بعد وفاته على شكل منتديات سياسيّة وتجمّعات حقوقيّة ونشاطات لقوى سياسيّة عانت الكثير بين عامي ١٩٨٠ حتّى ٢٠٠٠، بسبب الملاحقات والاعتقالات لأبرز نشطاء وكوادر هذه القوى، خاصّة تلك التي كوّنت التجمّع الوطنيّ الديمقراطيّ في سورية عام ١٩٨٠، والذي كان يضمّ ستّة أحزاب سياسيّة معارضة للنظام، وجاء الإعلان بعد وضع مجموعة من كوادر ونشطاء المجتمع المدنيّ والسياسيّ ورقة تضمّنت رؤى وأفكار الانتقال السياسيّ، وقد اتّفقت على شعار «التغيير الديمقراطيّ السلميّ التدريجيّ» ، وتشكّلت عام ٢٠٠٥ نواة الأمانة العامّة من ممثّلي قوى وأحزاب ومستقلّين سوريّين معارضين لتتمكّن من عقد المؤتمر التأسيسيّ الأوّل للإعلان عام ٢٠٠٧، وأقرّ هذا المؤتمر الرؤية السياسيّة والهيكلية التنظيميّة، ثمّ انتخب أمانته العامّة ورئاسة مجلسه الوطنيّ.

جمع الإعلان مختلف القوى السياسيّة المعارضة، كيف استطاعت مظلّة الإعلان أن تحتوي مختلف المشارب السوريّة من الأحزاب العلمانيّة واليساريّة وصولاً الى حركة الإخوان المسلمين؟

إيليّا: مثّلت الرؤية السياسيّة التي وضعها الإعلان كلّ الطيف السوريّ وعبّرت عن تطلّعاتهم لإقامة نظام ديمقراطيّ يعتمد على مبدأ المواطنة الحقّة، ويعلي دور المواطن ودور القانون.

وقد ساعدت المرونة التنظيميّة على بقاء إعلان دمشق قادراً على احتواء كلّ المكوّنات السياسيّة، كما أفسحت المجال أمام الشخصيّات الوطنيّة المستقلّة لكي تعبّر عن نفسها وتجد مكانها في هذا التجمّع السياسيّ الواسع والكبير والذي توضّح أنّه يمثّل التنوّع السوريّ.

هل ساهم إعلان دمشق في ارهاصات ثورة ٢٠١١؟ وكيف؟

إيليّا: لاقت طروحات إعلان دمشق رواجاً كبيراً عند المواطن السوريّ، مماساهم في تشكيل حاضنة شعبية له، وذلك بسبب بعده عن التطرّف والتعصّب القوميّ، مما ساعد على توافق المكوّنات السوريّة في ظلّ دولة المواطنة.

وما أن جاءت الثورة في آذار ٢٠١١، حتّى تلقّتها كوادر الإعلان ونشطائه ليكونوا من أبرز المساهمين في المظاهرات السلميّة التي انطلقت في عموم المدن السوريّة مطالبة بالحرّيّة والكرامة، ولم يطرح الإعلان نفسه كقائد للثورة التي انطلقت في سورية بالرغم من أهمّيّة الأفكار والرؤى التي طرحتها الأمانة العامّة.

ما الدور الذي لعبه الإعلان بعد الثورة، وماهي المشاكل التي أعاقت مواكبته لمقتضيات الثورة؟

إيليّا: كان لتسارع الأحداث في ثورات الربيع العربيّ التي انطلقت من تونس إلى مصر وليبيا واليمن دوراً في تباين الرؤى والمواقف السياسيّة لدى قيادة الإعلان، وبالرغم من مشاركة الإعلان في المجلس الوطنيّ السوريّ الذي تشكّل ليقوم بدوره السياسيّ وقيادة الثورة، لكنّ الخلافات التي طفت على السطح بين أعضاء المجلس الوطنيّ ومكوّناته السياسيّة انعكست على قيادة الإعلان أيضاً ما أدّى لتراجع دوره وبدلاً من أن يسعى إلى رأب الصدع كان مشاركاً في استمرار هذه الخلافات، ما أدّى أيضاً إلى فقدان القوى السياسيّة للقرار الوطنيّ وانتقاله لأيدي القوى الكبرى والدول الإقليميّة، ولم يتمكّن الإعلان من رأب الصدع الذي نشأ في المجتمع السوريّ.

عقد مؤتمر لإعلان دمشق في المهجر في إسطنبول ٢٠١٤، ما الطرح الجديد الذي حمله هذا المؤتمر؟

انعكست التباينات التي ظهرت على السطح في المجتمع السوريّ على الإعلان أيضاً، وبسبب مغادرة العديد من كوادر الإعلان إلى الخارج، وضعف التواصل بينهم برزت الحاجة الملحّة لعقد مؤتمر إعلان دمشق في المهجر، وحدث ذلك عام ٢٠١٤، بهدف إعادة اللحمة بين المكوّنات التي ضمها الإعلان وإعادة الدور له، لكنّ تعقّد الوضع السوريّ لم يساعد على رأب الصدع فاستمرّت الخلافات بين أعضاء الإعلان، وظهر ذلك واضحاً في جلسات المؤتمر.

حصل خلاف بين الأمانة العامة وبين بعض أعضاء إعلان دمشق ما أحدث شقًّا في الإعلان ماهي الأسباب الحقيقيّة للخلاف؟ وهل هذا وقت هكذا خلافات؟

إيليّا: إنّ التصحّر السياسيّ الذي فرضه نظام الأسد على المجتمع السوريّ طيلة أربعة عقود ساهم في عدم قدرة القوى السياسيّة على تحليل الواقع السياسيّ السوريّ بعد الثورة، وعدم فهم طبيعة العلاقات التي بناها النظام الأمنيّ مع المجتمع الدوليّ، وتشابك مصالحه مع القوى الكبرى أو الدول الإقليميّة، إنّ نظاماً وظيفيًّا كالنظام الأسديّ والقمع الذي مارسه ضدّ المجتمع السوريّ برمّته فكان لابدّ لهذا التشظّي من أن ينتقل إلى صفوف القوى السياسيّة المعارضة، ومن البديهي أن تنتقل الخلافات الفكريّة إلى الواقع التنظيميّ أيضاً لدى القوى السياسيّة، وإعلان دمشق كان أكثر هذه القوى التي تأثّرت بالخلافات وكان أكثرها عرضة للتشظّي، وهذا بديهي في حال الثورة السوريّة الكاشفة لكلّ التناقضات ليس على مستوى الواقع السوريّ فحسب بل على مستوى العالم الذي انقسم في رؤيته تجاه الثورة السوريّة.

عقد مؤتمر جديد للمنشقّين عن الإعلان في مدينة غازي عينتاب التركيّة، ما الجديد الذي قدّمه مؤتمر عينتاب لإعلان دمشق؟

إيليّا: ماتمّ عقده في غازي عينتاب لم يكن مؤتمراً للمنشقّين، بل كان مؤتمراً ثانياً لإعلان دمشق بعد مؤتمره الأوّل في عام ٢٠٠٧، وقد تمثّل فيه أعضاء من الداخل كما حضره أعضاء من منظّمات المهجر، وهدف بذلك إلى عدم الفصل بين سوريي الداخل والمهجر، فالسوريّون الذين أُجبروا على مغادرة سورية، إمّا بسبب ملاحقة أو ما يقوم به تنظيم «داعش» في الأماكن التي يسيطر عليها، هذا الأمر لا ينفي عنهم سوريّتهم وارتباطهم بالثورة، وقد كانت هذه أحدى الإشكاليّات التي نوقشت في مؤتمر ٢٠١٤، عندما صنّفت الأمانة العامّة السابقة بأنّ كلّ من هو خرج من سورية بأنّه أصبح من المهجر، وهذه المغالطة أفسحت المجال إلى اتّباع أسلوب تنظيميّ غير سليم، لذلك جاءت الدعوة لعقد مؤتمر عامّ، ليعيد لإعلان دمشق دوره في أن يكون مظلّة وطنيّة جامعة.

ماهي أهمّ القوى والأحزاب المشاركة معكم في الإعلان بعد مؤتمر غازي عينتاب؟

إيليّا: أفسح المؤتمر المجال للنشطاء أن يمارسوا دورهم فيه كأفراد وشخصيّات وطنيّة دون تمثيل لأحزابهم، والسبب في ذلك هو الرغبة في الخلاص من هيمنة الأحزاب على الإعلان، وإعطاء الدور للأفراد أن يمارسوا قناعاتهم بحرّيّة تامّة بعيداً عن العضويّة الحزبيّة؛ لذلك فإنّ الحزبيّين الموجودين في الإعلان لا يفرضون سياسة أحزابهم على الإعلان، كما أنّ الإعلان لن يفرض سياسته ورؤيته على الأحزاب السياسيّة الموجودة على الساحة، بهذا الشكل يمكن للإعلان أن يمارس دوره بشكل مستقلّ عن تأثيرات الأحزاب المشاركة فيه.

الكثير من الموقّعين على إعلان دمشق ٢٠٠٥، رفضوا المشاركة معكم والبعض هاجمكم، ماهي وجهة نظر هؤلاء برأيك، وهل تواصلتم معهم؟

إيليّا: ذلك صحيح، وبالرغم من رفضهم المشاركة لكنّ المؤتمر عُقد ونجح في تحقيق غايته، وقد تواصلنا مع الكثير من الموقّعين على بيان الإعلان ٢٠٠٥، لكنّهم وبسبب تشرذم القوى السياسيّة، رفضوا المشاركة، البعض منهم تمنّى النجاح لنا واعتذر بمنتهى اللباقة، والبعض الآخر الذي خشي أن يفقد دوره كان من البديهي أن يهاجمنا ويخوّننا، حتّى دون أن نردّ على اتّهاماته وتخوينه معتمدين على أنّ المستقبل كفيل بأن يظهر حقيقة مواقفنا وخلفيّة عملنا، معتبرين أنّ العبرة في الإنجاز لا في الأقوال، أي أن نحقّق الشعار الذي تبنّيناه، وهو استعادة الإعلان ليكون مظلّة جامعة للسوريّين.

ماهي أهمّ نشاطات لجان الإعلان ما بعد مؤتمر غازي عينتاب؟ وأين تنتشر هيئات الإعلان في العالم؟

لا تزال نشاطات الإعلان دون المستوى المطلوب، فالصعوبات التي تعترضنا كبيرة، ونقرّ بأنّها تفوق قدرتنا على تحمّلها ومع ذلك فإنّنا مصممون على السير لتحقيق تطلّعات السوريّين في الحرّيّة والكرامة، وتحاول هيئاتنا أن تعمل ما أمكن للتغلّب على هذه الصعوبات، إذ استطاعت هيئة السويد أن تحقّق نجاحاً في إعادة تجميع السوريّين حول الإعلان وحثّهم على رفع أصواتهم ليصل إلى سمع الأوربّيّين، كما قامت الأمانة بتوزيع المهامّ بين أعضائها وافتتحت مكتباً للإعلان في غازي عينتاب التركيّة، وتشكّلت لجنة في غازي عينتاب مستقلّة في عملها ونشاطاتها عن الأمانة العامّة،

كذلك تنتشر هيئات الإعلان في ألمانيا وشمال أمريكا وكندا وهولندا وهيئة الخليج، وجميع هذه الهيئات تشارك بفعّاليّة في النشاطات السلميّة التي يقيمها السوريّون لإيصال صوت ثورتهم للعالم.

كيف يرى إعلان دمشق الحلّ الأمثل للخروج من هذا المأزق السياسيّ الذي تعاني منه المعارضة بجميع مؤسّساتها السياسيّة والعسكريّة؟

إيليّا: يرى إعلان دمشق أنّ ما يجب القيام به للخلاص من هذا المأزق يكمن بوضع رؤية استراتيجيّة لمشروع وطنيّ جامع يفسح المجال أمام القوى الديمقراطيّة أن تلتقي، وتعمل لاستعادة القرار الوطنيّ السوريّ، وطرح القضيّة السوريّة على بساط البحث مع المجتمع الدوليّ والإقليميّ بما يحقّق الحفاظ على وحدة سورية أرضاً وشعباً والانتقال من نظام الاستبداد الذي عاث فساداً طيلة العقود الماضية والوصول إلى دولة المواطنة وسيادة القانون، ليتمكّن السوريّون من تحقيق حلمهم الذي انتفضوا من أجله، ألا وهو تحقيق شعار الثورة المتمثّل في الوصول إلى صون حرّيّة المواطن وكرامته.

هامش:

*إعلان دمشق

اسم يطلق على الوثيقة التي وقّعت عليها عام ٢٠٠٥، شخصيّات بارزة من المجتمع المدنيّ والإسلاميّين والليبراليّين السوريّين، وتدعو إلى إنهاء ٣٥ عاماً من حكم أسرة الأسد لسورية، واستبداله بنظام ديمقراطيّ، وقّع الإعلان في تشرين الأوّل ٢٠٠٥، من قبل التجمّع الوطني الديمقراطيّ في سورية بأحزابه الستّة (حزب الشعب الديمقراطيّ السوريّ - الاتّحاد الاشتراكيّ - إلخ..) والتحالف الديمقراطيّ الكرديّ في سورية، ولجان إحياء المجتمع المدنيّ، والجبهة الديمقراطيّة الكرديّة في سورية، وحزب المستقبل واللجنة السوريّة لحقوق الإنسان، وشخصيّات مستقلّة تضمّ كلًّا من النائب المعارض رياض سيف وميشيل كيلو والمفكّر الإسلامي جودت سعيد، وعبد الرزاق عيد وسمير النشّار، وفداء أكرم الحوراني، عادل زكّار، وعبد الكريم الضحّاك، والمحامي هيثم المالح، إضافة إلى نايف قيسيّة.

كما قامت أحزاب سوريّة أخرى بضمّ صوتها إلى الموقّعين خلال الاحتجاجات السوريّة سنة ٢٠١١، مثل المنظّمة الآثوريّة الديمقراطيّة وأحزاب كرديّة أخرى، من جانبها أعلنت جماعة الإخوان المسلمين في سورية، التي تتّخذ من لندن مقرًّا لها «تأييدها الكامل لإعلان دمشق للتغيير الوطنيّ الديمقراطيّ ممهِّدا لانعقاد المؤتمر الوطنيّ الشامل ومدخلاً للتغيير».

حاوره: سامر الأحمد

اللغة والحياة الجديدتان..... التهرّب أم المواجهة؟

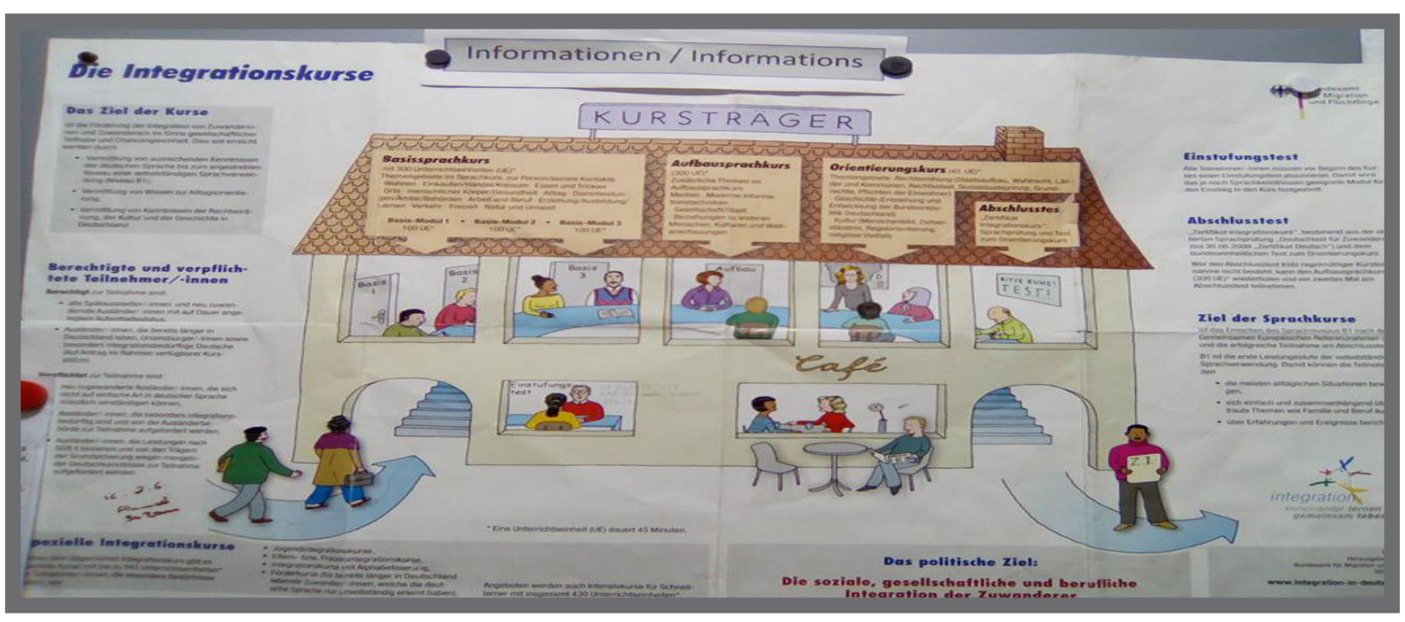

يتّفق اللاجئون والمسؤولون عنهم بأنّ مسألة تعلّم اللغة الألمانيّة هي الضرورة الأولى في حياة اللاجئ، أيًّا كان مراده، بشرط البقاء في ألمانيا، فيتحدّث المسؤولون باستمرار عن أهمّيّة اللغة في عمليّة الاندماج، ويقول الموظّفون المتعاملون مباشرة مع اللاجئ بوضوح أنّ عليه تعلّم لغتهم، بل ويمتنعون عن تقديم الخدمة له أو التعاون معه، ما لم يتدبّر أمر الترجمة، وخاصّة عندما يعرفون بأنّه قد مرّت على وجوده في بلادهم شهور عديدة.

فماذا يفعل كلّ طرف ليحلّ هذه المسألة؟

التعليم إلزامي فعلاً!

يعتبر التعليم إلزاميًّا للأطفال حتّى المرحلة المتوسّطة، وتؤمّن مراكز الإيواء منذ الأيّام الأولى لوصول العائلات غرفاً صفّيّة للأطفال تحت سنّ المدرسة، فيما يتعارف عليه باسم رياض الأطفال.

بينما يتمّ إبلاغ الأهالي عن وجوب إرسال أولادهم ممّن هم في سنّ المدرسة (٧ سنوات فما فوق) للالتحاق بمدرسة على مسؤوليّة الأولياء من أب أو أمّ أو غيرهم، تحت طائلة المحاسبة القانونيّة، التي قد تصل إلى أخذ الطفل من ذويه ووضعه في رعاية مؤسّسات الدولة المختصّة بهذه الحالات.

ماذا تقدّم الحكومة؟

تقدّم الجهات المسؤولة (وهي هنا مراكز العمل JobCenter) للكبار، أسماء وعناوين المدارس المختصّة بتعليم اللغة الألمانيّة للأجانب، وتترك للاجئ اختيار إحداها، لتتكفّل هذه الجهات بدفع المصاريف. في هذه المدارس، تقام دورات على مستويات عدّة، تبدأ من الأمّيّين الذين لا يعرفون الأحرف، ويمكن أن توصل الطالب الراغب بالدراسة في الجامعة إلى مستويات عليا تتطلّبها بعض الكلّيّات.

وعدد ساعات الدورة الأساسيّة الواحدة لكلّ مستوى بحدود ٦٠٠ ساعة، يمكن أن تمدّد إلى ٨٠٠ ساعة، وتمتد على ستّة أشهر تقريباً، ويصل أجرها االشهريّ إلى ٤٠٠ أورو، يتكفّل بتسديدها مركز العمل بعد توقيع العقد مع المدرسة التي يعترف بها، وقد اختارها الطالب بنفسه.

نماذج: ضرورة، تهرّب، تفسير.

عند الطرف الآخر، وهو الطالب، هنا تكمن مشكلة متشعّبة، وتتكشّف مع التفاصيل التي يسردها الطلّاب؛ مازن درويش (٢٣ سنة)، سجّل في مدرسة منذ شهرين، ليفاجأ باعتذار منها، فقد ألغت الدورة، واضطرّ إلى البحث من جديد عن مدرسة أخرى، وقد يفوته التسجيل في الجامعة،

يقول مازن: « أنا بحاجة لمستويّين من اللغة لدخول كليّة الهندسة، أي على الأقلّ عام دراسيّ، وعدم البدء فوراً بالدورة يعني أن لا أكون منتهياً قبل نهاية أيلول من العام القادم، يعني ضياع فرصة التسجيل وضياع عام آخر، بعد أن أضعت في سورية ثلاثة أعوام».

طالب آخر، لا يأبه باللغة ويقول: «لا أريد أن أتعلّم اللغة الألمانيّة، أنا أجيد الإنكليزيّة، وهذا يكفيني في كلّ العالم فقط أريد أن آخذ الإقامة، وقريباً سأتي بشهادة في التجارة والاقتصاد من سورية، ولكن يلزم مستوي في اللغة ليقبلوا التعديل لهذا سأحاول أن أحصل على هذا المستوي».

ويضيف (وقد رفض ذكر اسمه): في كلّ بلاد العالم تستطيع التفاهم باللغة الإنكليزيّة، حتّى في ألمانيا، ولكنّهم يعقّدون الأمور، ولديهم هنا تعصّب للغة الألمانيّة».

يرى موظّف مركز العمل «طارق» (٤٦ سنة من أصل سوريّ) أنّ البعض لا يرغبون بالالتزام بمدرسة، ويدّعون أنّهم سيتعلّمون من خلال الحياة العمليّة، أو أنّ اللغة لا تلزمهم أو أنّهم لم يعودوا يستطيعون الذهاب كلّ يوم كالتلاميذ والجلوس إلى المقاعد، وأنّهم لم يأتوا إلى هنا لكي يدخلوا المدرسة، فقط أتوا هرباً من الموت.

ممّن سبقونا

وتضرب المعلّمة «أولغا» مثالاً عن نفسها فتقول: أنا جئت إلى هنا من بيلاروسيا، تعلّمت الألمانيّة وصرت معلّمة لها، بعد أن أنهيت الاختصاص في تعليم الأجانب.

«أولغا» تتقن عدّة لغات، ولا تتوقّف عن الحركة والكلام طوال فترة دوامها، حتّى في الاستراحة (Pause) تجيب الطلّاب، وترتّب أوراقها، وتأكل الصندويش الذي حضّرته في البيت.

صحيح أنّ وراء كلّ لاجئ سوريّ غالباً قصّة مأساويّة، لكنّ ملامح الانهزام والاتّكال تبدو ظاهرة على بعضهم. فيما ينهض الآخرون مفتوحي الأذهان بحثاً عن الحياة، بعد أن كادوا يفقدونها على تراب وطنهم.

برلين / بشّار فستق

حياة أهالي الريف الشماليّ لحمص..... موتهم جوعاً وقصفاً

يُعتبر ريف حمص الشماليّ خزّانا بشريًّا ضخماً، يضمّ عدداً كبيراً من المدنيّين من سكّان الريف والنازحين من المناطق الأخرى؛ وفي ظلّ الحصار على مدى أكثر من خمس سنوات، أصبحت تواجه الأهالي مشاكل عديدة، أبرزها «الفقر»، بسبب توقّف الأعمال التي كان يعمل بها الغالبيّة منهم، وبالرغم من المحاولات الشاقّة لتأمين قوتهم اليوميّ، إلّا أنّ هذه المحاولات في معظم الأوقات لا تكفي لتأمين قوتهم اليوميّ بشكل كافٍ.

العمل تحت القصف

«أبو جابر»

، من مدينة الرستن يبلغ من العمر ٢٩ عاماً، متزوّج ولديه طفلان، يعمل في تعبئة الأسطوانات الغازيّة الصغيرة التي تستخدم لإشعال النار(قدّاحة)، وفي حديث مع أبو جابر حول كيفيّة عمله وما مدى خطورته وما هو إنتاجه اليوميّ لـ «كلّنا سوريّون» قال إنّه يعمل يوميًّا وعلى مدار اليوم منذ الصباح حتّى المساء، وفي كلّ هذا الوقت لا يوفّر سوى (٢٠٠أو٣٠٠ ل.س) في نهاية اليوم، وطبعاً هذا المبلغ لا يكفي لشراء كيس من الخبز،

ويقول أبو جابر: « لأنّني أقوم بتعبئة (القدّاحة) بسعر/٣٥/ ل.س حيث يبلغ ثمنها جديدة /١٠٠/ل.س »

عدا عن كلّ هذا عبّر أبو جابر عن صعوبة التجوّل في الطرقات، وهنا يكمن الخطر الأكبر، فبالإضافة لتعرّضه لأكثر من مرّة للقصف من قبل قوّات النظام أثناء وجوده بين الأحياء السكنيّة، مشيراً إلى إنّه رغم كلّ تلك المخاطر لا يستطيع تأمين قوته اليومي هو وعائلته، واصفاً وضع عائلته بأنّه بات سيّئًا جدًّا لأنّه لا يستطيع تأمين مستلزمات العيش والدواء واللباس في ظلّ النقصان والارتفاع الحادّ في لسعر المواد الضروريّة للمعيشة، خصوصاً عند بدء انتهاء موسم الصيف وحلول فصل الشتاء، وعدم قدرته على شراء الحطب لتدفئة أطفاله في البرد القارس، وكما أوضح صعوبة العيش في منزله، لأنّه لا يقيهم من برد الشتاء ولا الأمطار ولا الثلوج، كما عانى منه في العام الماضي.

«أبو جابر» قصّة من مئات القصص المأساويّة الذي سبّبها الحصار الخانق المطبّق على الأهالي، الذين يعانون من الحصار الذي خلّف الجوع والفقر وخطر التنقّل لتأمين قوّتهم اليوميّ، وصعوبات أخرى ناتجة عن النزوح والتشرّد، منها حالة المساكن وتأمين النار للتدفئة في الشتاء.

ولا يحصلون على قوت يومهم

«أبو أحمد»

يبلغ من العمر ٤٠ عاماً، ولديه عائلة مؤلّفة من خمس أفراد، يعمل أبو أحمد على بيع المحروقات (بنزين ومازوت) في خيمة صغيرة في أحد أحياء مدينة تلبيسة، ويعبر «أبو أحمد» عن المخاطر اليوميّة التي يتعرّض لها أثناء وجوده لبيع بعض من المحروقات،

ويقول أبو أحمد :«أعمل طوال اليوم على بيع نحو عشر لترات من المحروقات ليكون ربحي فيهم لا يتجاوز الـ /٥٠٠/ ل.س، وهي لا تكفي لتأمين القوت اليوميّ لأطفالي وعائلتي ولا حتّى تأمين الماء والدواء واللباس، وعدا عن كلّ ذلك تكمن الخطورة الأكبر في وجودي على الطرقات أثناء القصف على الأحياء السكنيّة».

شهداء وشهداء

الصعوبات نفسها والمخاطر التي يعاني منها أبو جابر وأبو أحمد، كان يعاني منها الشهيد «أبو صطيف» الذي بلغ من العمر ال ٦٠ عاماً، وكان ويعمل بائع فول متجوّل في أحياء مدينة تلبيسة، وله اثنان من الأبناء شهداء، كانا يساعدانه في العمل على بيع الفول لتأمين قوتهم اليوميّ، لتستهدفه الطائرات الحربيّة التابعة لقوّات النظام ويدفعون أرواحهم ثمن لقمة العيش لعائلاتهم، ويعود أبو صطيف ليتابع طريق أبنائه الشهداء ويتجوّل يوميًّا في الأحياء السكنيّة لبيع الفول في محاولة منه لتأمين متطلّبات عائلته، لينتهي به الأمر شهيداً إثر استهداف المدينة بالبراميل المتفجّرة، ويترك خلفه عائلة مؤلّفة من خمسة أطفال، لم يتبقّ لهم معيل أبداً.

أين مؤسّسات المعارضة؟

أبو جابر، وأبو أحمد، والشهيد أبو صطيف، وعائلاتهم ليسوا الوحيدين الذين يعانون من هذه المشاكل والصعوبات، فغالبيّة الأهالي يعيشون هذه الظروف والمعاناة، ومنهم من استشهد، ومنهم من أعيق عن العمل بسبب الإصابات، ومنهم من لا يزال يعاني من هذه المشاكل في ظل النزوح والتشرد والفقر، وسوء السكن والمعانات في البرد القارس والأمطار، كلّ هذه الظروف وغياب كامل لأيّ دعم من كلّ مؤسّسات المعارضة من الائتلاف إلى الحكومة المؤقّتة، وغيرها من المؤسّسات، بينما تحاول مؤسّسات مجتمع مدنيّ وجمعيّات خيريّة سدّ الحاجة، إلّا أنّ كلّ جهودها لا تحلّ إلّا جزءاً يسيراً من مشكلات السكّان المحلّيّين البالغ عددهم آلاف ويعيشون جميعاً الظروف البالغة الصعوبة ذاتها.

ريف حمص الشمالي/ محمّد طه

المرأة المقاتلة في صفوف وحدات حماية الشعب الكرديّة
بين الواقع والأسطورة

أشعلت صور النساء الكرديّات المقاتلات مع قوّات حزب الاتّحاد الديموقراطيّ الكرديّ المعروفة ب «وحدات حماية الشعب» مواقع التواصل الاجتماعيّ، والمواقع الإلكترونيّة الإخباريّة، وتوالت مئات التقارير والتحقيقات الصحفيّة العربيّة والأجنبيّة خاصّة، والتي تُمجّد المرأة الكرديّة المقاتلة، وترسم حولها هالة من القداسة حوّلتها إلى «بطلة» من بطلات الأساطير التي قرأنا عنها.

بل، وبلغ الأمر ببعض التقارير الإعلاميّة أن قاربت حدّ «الخرافة» في صياغة القصص الخياليّة التي لا تشبه الواقع بشيء يُذكر.

ولا شكّ أنّ ذلك كلّه كان وراءه آلة إعلاميّة ضخمة، صنعت (بروبوغندات) إعلاميّة واجتماعيّة تتماشى مع سوق الاستهلاك الإعلاميّ اليومي، والذي يُحاكي عقول الناس المُستلبة اليوم بـ «الصورة المرئيّة» و خاصّة العقل الغربيّ المعاصر المرعوب من «الإرهاب»، والذي تحوّل أيضاً إلى أسطورة أخرى استفادت منها الأسطورة الأولى في ترويج نفسها وتكريسها كحالة وظاهرة على النقيض له بل وتقاتله. فهل هذا كلّ شيء؟

بدايةً، لا بدّ من التمييز بين المرأة الكرديّة عموماً، والنساء الكرديّات المنضويات تحت لواء «البيشمركا» في إقليم كردستان العراق، وبين المرأة الكرديّة الملتحقة بوحدات حماية الشعب، وتم إنشاء فصيل خاصّ بها باسم «وحدات حماية المرأة الكرديّة»، فبالنسبة لمشاركة النساء الكرديّات في مختلف مناحي الحياة ومنها «القتال»، فهذا ليس تطوّعا أو تجنيداً، وإنّما النساء يشاركن في القتال منذ عهد قديم وهنّ «جنود أساسيّون» ليس في البيئة الكرديّة فقط، وإنّما في كلّ مجتمعات المنطقة، مثلما يشاركن في العمل اليوميّ والزراعة والرعي وغيرها من أعمال.

في الوقت نفسه، تتعرّض النساء لكمّ هائل من الضغوطات والممارسات الاجتماعيّة الظالمة كغيرها من قريناتها من بنات مجتمعات المنطقة، بدءاً ممّا يُسمّى بجرائم الشرف المنتشرة بكثرة بين الأكراد في كلّ مجتمعاتهم وصولاً لعدد كبير من قضايا الحرمان من الإرث وغياب المساواة وغيرها، والتي تتشابه من الناحية الاجتماعيّة والقضائيّة مع غالبيّة المجتمعات العربيّة.

وكما أنّ المشاركة الحقيقيّة في مجالات الحياة هي موروث عربيّ وكرديّ قديم ولا يحتمل تأويل، فإنّ كلّ الممارسات تلك أيضاً موروث كامل لا يحتمل الجدل، ومع المعاناة الطويلة التي مرّت بها المجتمعات المحلّيّة الكرديّة كان للمرأة خصوصيّتها وقد نالت نصيبها الأكبر منها.

مع ذلك، ومع كلّ ما حقّقته « البيشمركا « ورحلة مصطفى البرزاني، ومن بعده ابنه مسعود من مكتسبات للمجتمع الكرديّ، إلّا أنّنا لم نشهد صوراً للمرأة تُشاع وتُكرّس بطريقة استهلاكيّة فاضحة، كما أشيعت من خلال ما يُسمّى «وحدات حماية الشعب»، وكلّ المؤسّسات والتنظيمات المنبثقة عن حزب الاتّحاد الديموقراطيّ الكرديّ في سورية.

صناعة الأسطورة وتكامل عناصرها

لم يكن جديداً وجود النساء الكرديّات في معسكرات «قنديل»، و لم يكن طارئاً التركيز على المرأة في فكر حزب العمّال الكردستانيّ الذي يستمدّ كلّ مرجعيّاته من فكر وأقوال وسلوك زعيمه عبد الله أوجلان؛ فما الذي جعل صورة المرأة المقاتلة تطغى على السطح ويُدفع بها إلى الواجهة خلال مجريات الثورة السوريّة، وخاصّة بعد ظهور التنظيمات المتطرّفة، كتنظيم «داعش»؟

أدرك القائمون على حزب الاتّحاد الديموقراطيّ منذ البداية أهمّيّة تسويق أنفسهم لدى الغرب، على صورة نقيضة لبيئات الثورة السوريّة، التي أثقلها الحصار والقتل والإبادة الجماعيّة اليوميّة، والتشرّد الذي يُظهر غالبيّة أهالي تلك البيئات بصورة بائسة، وخاصّة بعد ظهور التنظيمات الإسلاميّة المتشدّدة والتي اتّخذت من المرأة هدفاً أوّل لتطبيق كلّ أفكارها المتطرّفة عليها، وعلى النقيض تماماً كان حزب الاتّحاد الديموقراطيّ الكرديّ يُظهر صورة المرأة المقاتلة في صفوفه. وفي تكريس لتلك الصورة، كان لا بدّ من أسطرة هذه الحالة وتكريسها لتشغل وسائل الإعلام ليل نهار، كصورة نقيضة لكلّ ما كان يُضخّ إعلاميًّا، وبشكل يومي من باقي المناطق السورية، وكان لا بدّ من تضافر كلّ عوامل صناعة الأسطورة ليتمّ ذلك.

مُحرّرات عين العرب (كوباني)، الخيال الذي أضحى واقعاً

تقوم صناعة الأسطورة على عدّة عناصر أهمّها «الثبات و التكرار»، ومع هذا العنصر تُضاف عناصر الغموض والكثير من شطحات الخيال، واستخدام متكرّر لصيغ المبالغة والاعتماد على اللامنطقي، ومن ثمّ يأتي دور وسائل الإعلام الحديثة في استكمال صياغتها وتعزيزها، وغالباً ما نجدها تعزّز قيماً أخرى، من أهمّها الكذب وتعزيز القيم الماديّة والتفرقة والأنانيّة، وإعلاء المصلحة الشخصيّة على المصالح العامّة، والأهمّ من ذلك كلّه، خلق التباس كبير حول مفهوم الاستعباد، بجعله يبدو وكأنّه مفهوم للحرّيّة، استناداً إلى تسطيح وعي المتلقّي من خلال كسر المألوف والمتوقّع، أو إحداث صدمة للمجتمع والأفراد، صدمة تتعارض مع كلّ التوقّعات، ومع مناخ وقيم المجتمع، صدمة تعتمد آليّة إحداث الصدمة والخروج عن المألوف نفسها التي يقوم بها صنّاع الدراما والسينما، والذين يحوّلون المجرم إلى بطل، و يمجّدون العنف الذي يجد تعاطفاً كبيراً من الجمهور على حساب قيم أخرى، فيصبح البطل العنيف أسطورة لا تُقهر. لا شكّ إنّ عنف الواقع وقسوته تخلق تلقّياً جماهيريًّا، خصوصاً لدى فئات الشباب، لمتابعة ذلك القادر(الأسطورة) على التفوّق في ممارسة العنف، فالأسطورة أو البطل هنا متجاوز للواقع القائم، وقادر على أن يكون حلماً ممكناً أمام كلّ شابّ يستطيع أن يقلّده أو يرى فيه نفسه، ومسألة تقليد البطل أو التماهي معه تتعلّق باستهلاك الجمهور للخطاب أو المحتوى الفنّي والإعلاميّ للصورة التي تمّ تصديرها.

بلغت صناعة «أسطورة المقاتلات الكرديّات» ذروتها، بكلّ العناصر المشار إليها أعلاه خلال احتلال تنظيم «داعش» لمدينة عين العرب (كوباني)، وخلال عمليّة تحريرها، فعدا عن الأسطرة الهائلة التي حصلت للمدينة نفسها، والتي كان للمقاتلات الكرديّات النصيب الأكبر منها، فقد ظهرن هنّ أنفسهنّ كأسطورة، أسطورة شارك في صنعها كثير من الإعلاميّين والحقوقيّين والمثقّفين، من خلال تداول الروايات الخياليّة والمفبركة على أنّها واقع، واقع تبيّن لاحقاً وخلال فترة قصيرة أنّه كان من صنع خيالات الإعلاميّين، ولم يكلّف أحد نفسه عناء الاعتذار عن الكذب والفبركة.

ريحانة الكرديّة والصورة المتخيّلة

من الأخبار التي تمّ تداولها خلال معارك تحرير مدينة عين العرب (كوباني) من تنظيم «داعش»، انتشر خبر مرفق بصورة رأس لمقاتلة كرديّة شقراء، تتدلّى جديلتها ورأسها يحمله مقاتل «داعشيّ» وقد فصله عن جسدها، المقاتلة الكرديّة المفترضة «ريحانة» التي قتلت أكثر من مئة «داعشيّ» قبل أن تقع بيد عناصر التنظيم ليقوموا بذبحها انتقاماً.

تبيّن لاحقاً أنّه: لا وجود لريحانة، ولا وجود لمقاتلة قتلت مئة «داعشيّ» وأسرت وتمّ ذبحها، وانتهت الكذبة بأسطورة تتداولها مئات المواقع الإلكترونيّة اليوم، مع صورة لا أحد يعرف من صاحبتها!

الرصاصة السرّيّة

رواية أخرى، خرجت من مدينة عين العرب(كوباني)، عن المقاتلة الكرديّة الجميلة التي قتلت مئات «الدواعش»، و من ثمّ تمّت محاصرتها فقتلت نفسها برصاصة لكي لا تقع أسيرة بأيديهم، ولتكتمل عناصر الأسطورة، كان لا بدّ أن تنشر العشرات من التحقيقات في الصحافة الأجنبيّة تزامنا مع هذا أحاديث للمقاتلات، تبيّن كيف أن كلّ واحدة منهنّ قد تركت رصاصة يسمّونها «الرصاصة السرّيّة» لتقتل بها نفسها في حال وقعت أسيرة، وليتزامن هذا أيضاً مع نشر عدد من صور لمقاتلات وهن يقفن فوق رؤوس قتلى من عناصر «داعش» كما أشير عند نشر الصور، وليتعرّف لاحقاً أهالي عدد من الضحايا من عشيرة «الجبور» في الجزيرة السوريّة على أبنائهم بين المقتولين والذين قد تمّ خطفهم من بيوتهم، أو من أماكن عملهم واختفوا، ليظهروا وقد أصبحوا قتلى «دواعش» تحت أقدام المقاتلات الكرديّات، ورغم نشر أهالي الضحايا لرواياتهم وتعرّفهم على أبنائهم من الصور، لم يُكلّف أحد نفسه عناء البحث في هذه الصور وعناء الكشف عن الضحايا، و ضاع دمهم بينما تكرّست الأسطورة أكثر.

المقاتلات الجميلات لا يذهبن إلى القتال دون (ماكياج)

عشرات الصور المتداولة لليوم، والتي فاضت بها الصحافة العربيّة والغربيّة ومواقع التواصل الاجتماعيّ، كانت لنساء جميلات، شابّات في مقبل العمر، وأحياناً بكامل أناقتهنّ، ويحملن الكلاشن، أو يقبعن خلف المدفع الرشاش، وتحقيقات صحفيّة عديدة معهنّ يدلين بدلهونّ أنهنّ يحرصن على الذهاب للقتال بكامل أناقتهنّ، لأنهنّ يدركن تأثير هذا على عناصر «داعش»، وأنّ عناصر التنظيم يمقتون أن يقتلوا بيد «امرأة متبرّجة» لأنّ ذلك سيحرمهم من الجنّة، هذه الرواية التي لم يسمعها أحد إلّا من المقاتلات الكرديّات، علماً أنّ «داعش» يعلن عن نفسه وبنية تفكيره أكثر ممّا ينبغي أحياناً.

ولتكريس صورة المقاتلات الجميلات المتبرّجات، كان لا بدّ من نشر صور تتماشى مع هذا الخطاب الإعلاميّ لتدلّ عليه مرئيًّا، ومن يراجع الصور الملتقطة للمقاتلات الكرديّات في صفوف الوحدات سيجد ذلك الكمّ الهائل من «احتقار المرأة» عندما يركّزون في التقاط الصور على وجوه الجميلات فقط، بينما الأقلّ جمالاً وغير الجميلات لا حظّ لهنّ ليكنّ ضمن إطار الصورة؛ لأنّ وجودهنّ يربك الرواية ويقلّل من مصداقيّتها، وهذا أبشع استغلال لصورة المرأة وجسدها، وامتهان لكرامتها الإنسانيّة، و يُسقط كلّ الادّعاءات التي يتغنّون بها، ويذكّرنا هذا الفعل بسلوك بعض

السوريّين الذين يحتفون احتفاءً خاصًّا بصور الجميلين و الأنيقين من الأطفال الشهداء دون أن يلفت نظرهم الطفل الأقلّ جمالاً وأناقة!

ليس كافياً تسويق صورة الجميلات من المقاتلات والتركيز عليهنّ فقط، فصناعة الأسطورة تتطلّب ثباتاً لرؤية معيّنة يجب تكرارها يوميًّا، ولذلك لا ضير أن تُنشر صور لمقاتلات كرديّات من إقليم كردستان العراق في صفوف (البيشمركا) واللواتي لا يتقدّمن مواقع القتال كمقاتلات الوحدات الكرديّة في سورية، لذلك متاح لهنّ التبرّج والأناقة أكثر، لكن ما الضير في استعارة صورهنّ وتسويقها على أنّها للكرديّات السوريّات اللواتي يقاتلن «داعش»؟

وما الضير أيضاً أن تُسرق عشرات الصور لطالبات جامعيّات من «أربيل» ارتدين بحفل خاصّ لتكريم (البيشمركا) ودعمهم اللباس العسكريّ، والتقطن صور (سيلفي) على مدرّجات الجامعة وفي ممرّاتها، ومع ذلك يُمكن لهنّ في الإعلام أن يصبحن من عناصر وحدات الحماية الكرديّة في سورية، ما دام لا أحد يسأل ويبحث عن أصل ومصدر الصورة، وما دامت جميعهنّ كرديّات،

فما المانع من استعارة صورهنّ لاستكمال صناعة الأسطورة التي تعود على الجميع بالفائدة؟ حسب رؤية من وراء هذا كلّه.

الوطن الأمّ « كردستان» أهمّ من الأمومة ومن حاجة الطفولة إليها!

الوطن « كردستان» أهمّ من كلّ شيء وفوق كلّ شيء، حتّى إنسانية الإنسان، وهؤلاء الذين يُصدّرون أنفسهم كعشّاق للحياة والموسيقا والجمال، وكمقاتلين ضدّ من يغتال

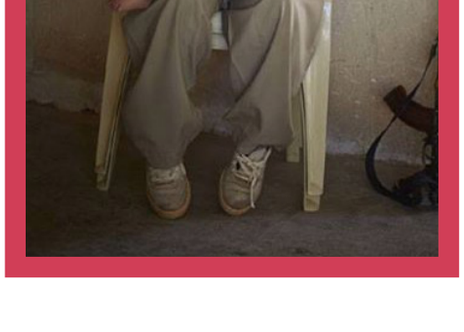

الحياة، يبلغ بهم المآل أن تصبح الأمومة حجر عثرة في وجه تحرير الوطن، لذلك ليس من الضرورة أن تتزوّج المقاتلة وأن تصبح أمًّا. لكن ماذا عن المقاتلات اللواتي التحقن بقتال «داعش» خاصّة في عين العرب (كوباني) وهنّ آتيات من كلّ البلدان المجاورة والتي تتشكّل فيها جغرافية «كردستان»؟

صورة المرأة الكرديّة الإيرانيّة، وهي تجلس على كرسيّ وتظهر ثديها لترضع رضيعها وبجوارها بارودتها، وهي بلباسها العسكريّ الكامل، لا تعكس عشقاً للأرض والوطن، أكثر ممّا تعكس صورة احتقار للأمومة، وانعدام الوعي بحرمان الرضيع من أمّه المقاتلة التي يُمكن أن تقتل في أيّة لحظة، بينما يدفع المرأة الكرديّة الإيرانيّة هذا «الشغف» للقتال أن تأتي لتقاتل مع رضيعها في سورية. يعبر إلى أوروبّا الجبال والبحار يوميًّا آلاف الشباب الأكراد هربا من جحيم الحرب وصراعات بيئاتهم ليقوموا من هناك بتمجيد المقاتلة (الأمّ)، وليصبحوا عنصراً فاعلاً في صياغة أسطورتها الخاصّة.

أمّ كرديّة أخرى، ومن هيئتها في الصورة يظهر عليها صغر السنّ، تُنشر صورتها كمقاتلة تتزيّن بشعار حزب الاتّحاد الديمقراطيّ، متجاورة مع صورة أخرى لها وهي تعانق طفلين دون السابعة من العمر هما أبناؤها، الطفلان اللذان قد يكون هذا آخر عناق بينهم وبين والدتهم، وليس هناك من أحد ليأخذ مكانها في القتال ويترك للأطفال حقّ الحياة بكنف «أم»! هذه الصورة التي تُمجّد الحياة ممن يدّعي أنّه محبّ للحياة ، كلّ هذا غير مهمّ، فمن يأبه؟! المهمّ أن تبقى الأسطورة كاملة بكل عناصرها، و اليتم والحرمان من الأمومة يبقى أمراً ثانويًّا جدًّا.

في منبج، تكتمل الصورة بين الجمال والرحمة و المحبّة الفائضة!

لا يكفي الأسطورة أن تظهر المقاتلات كحسناوات جميلات فقط، بل لا بدّ من إظهار إنسانيتهنّ الفائضة، وامتلاكهنّ الوقت الكافي ليس للتبرّج والأناقة والتقاط (سيلفي)، بلٍ هنّ مثال للرحمة والمحبّة، و تتمتزج معاً صورة الجمال مع المحبّة والمشاعر الطيّبة والتعاطف الإنسانيّ في صور عناق الضحايا الناجين من قبضة «داعش» في مدينة منبج، وفي حمل أطفال النساء اللواتي أنهكهن التعب والظلم والحرمان، ولفّهن السواد، ليشرق نور النساء الكرديّات المقاتلات ليشملهنّ بعطفهنّ، فيتاح الوقت والمجال لابنة منبج أن تدخّن (سيكارة) حرمها منها حكم «داعش»، وأن تحرق عباءة السواد بشكل استعراضي لافت، ولكن تلك الرحمة و المحبّة الفائضة لم تدفع هؤلاء ولا عدسات الكاميرا التي تصوّر كلّ هذا إلى نجدة ومساعدة المرأة التي ولدت طفلها في العراء بعد أن أجبروا أهالي قرية «شاش البوبنا» بريف منبج على مغادرتها وطردوهم من بيوتهم بينما كانت «الرحيمات» على بعد أقلّ من ١٠٠ متر بدوريّاتهنّ من مكان ولادة المرأة التي طلب ذويها النجدة منهنّ ولم يجدوا أيّ عون.

الرحيمون والرحيمات! ذاتهنّ من أعطى إحداثيّات بلدة «التوخار – توخار كبير» في ريف منبج ليقصفها طيران التحالف ويسقط العشرات من المدنيّين الأبرياء غالبيّتهنّ نساء وأطفال، وهذا باعتراف الأمريكيّين العلنيّ واعتذارهم عن الخطأ الذي تسبّب بالمجزرة.

هذا كلّه لا تسجّله عدسة الكاميرا، لأنّه يمثّل ضربة قاضية للأسطورة التي باتت تلامس حدود الخرافة.

بعيداً عن عيون الكاميرا، حيث لا أسطورة

أوّل أساطير البطولة تسقط عندما نتذكّر ونعرف وندرك أنّ مدينة عين العرب (كوباني) قد تمّ احتلالها من قبل تنظيم «داعش» خلال أقلّ من ٨ ساعات، عين العرب بريفها كلّه، وكلّ بطولات المقاتلين والمقاتلات الأكراد تمثّلت فقط في حثّ الناس على المغادرة بسرعة لتفرغ المنطقة من أهلها خلال ساعات، والبطولة تتجلّى في رفضهم ورفضهنّ توزيع السلاح على الأهالي للدفاع عن أراضيهم وبيوتهم وممتلكاتهم، بل كل ما كان عليهم أن يخرجوا على عجل بثيابهم فقط، وفقط تحضر البطولة وتُنسج الأساطير عندما تحضر في الأجواء طائرات التحالف، خاصّة الأمريكيّة منها الأكثر منحاً للأمان وصنعاً للبطولات الكرديّة في سورية، حيث لا نساء مقاتلات يقتلن مئات من عناصر «داعش» إن غاب الطيران من الأجواء.

بعيداً عن أعين الكاميرا، وبعيداً عن تركيز العالم الحرّ على قيم الحرّيّة وتمجيد بطولات الأحرار، تُخطف الطفلات الكرديّات من مدارسهنّ، ومن بيوت ذويهنّ، ويُسقن إلى معسكرات التدريب ليتمّ تأهيلهنّ سريعاً وزجّهن في المعارك سعياً وراء «الأسطورة»، القاصرات اللواتي ملأ ذويهنّ العالم صراخاً ومظاهرات، وبلغ بوالد إحداهنّ أن أقام ليله ونهاره أمام أحد المعسكرات يريد طفلته، وعندما هدّد بحرق نفسه إن لم يستردّها منهم قالوا له «لتفعل، فمن أنت لنأبه» وسمع منهم كلاماً مهيناً جدًّا، ليفعلها الرجل! بالفعل، يحرق نفسه ويرحل عن عالمنا كسيراً مهزوماً، أمام إنسانيّة لا تلتقطها عدسات الكاميرا، و لا ترويها خطابات الإعلاميّين و تحقيقاتهم، ولا تتغنّى برحيله قصائد الشعراء العرب والكرد.

بعيداً عن أعين الكاميرا، في مثل هذه الأيّام تحديداً، ترتكب الوحدات الكرديّة مجزرة بشعة بأهالي قرى الحاجيّة وتلّ خليل في ريف محافظة الحسكة، تُقتل فيها النساء ويقتل الأطفال الرُضع، فقط لأنّهم «عرب» ولأنّ قراهم تقع ضمن (الإقليم الكرديّ) المُفترض، وحيث لا «دواعش» هناك ولا إرهاب، المقاتلة الكردية هي ذاتها تلك الرحيمة في منبج تسحب الرضيع من حضن أمّه التي تتوسّلها أن تتركه فليس سوى رضيع، فيأتيها الجواب: «أليس عربيًّا!؟ يجب أن يموت».

ولتصفع رأس الطفل على الأرض مودعاً العالم برحمة فائضة من امرأة كرديّة مقاتلة تصنع مجد كردستان الغربيّة وأسطورتها الخاصّة.

بعيداً عن أعين الكاميرا، و خطابات الإعلام، في عفرين يُحاصر منزل الشيخ حنّان وجيرانه فقط لأنّه «برزاني» ويميل الرجل وأولاده إلى البرزانيّين ويحبّهم ويحترمهم. يقتل الشيخ وأولاده وتُرمى جثثهم في الشارع، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منها حتّى يأذن المقاتلون والمقاتلات من عناصر الوحدات، والمرأة الكرديّة المقاتلة هي ذاتها التي أهانت نساء عائلة الشيخ حنّان وسلبت من أيديهن أساور الذهب والحليّ، ولم تسمح لهنّ بمغادرة المكان الذي يحترق، إلا بعد سلبهنّ تجريدهنّ من كل شيء عدا ملابسهنّ. والمشهد ذاته تكرّر في مجزرة قرية «برج عبدالوا» بريف عفرين؛ حيث لا غفران للأهالي لتأييدهم الجيش الحرّ، ولم تشفع لهؤلاء أو لعائلة الشيخ حنّان كونهم «أكراد».

كلّ هذا وغيره الكثير، لا ترصده أعين الإعلاميّين الحولاء، ولا تأبه له قصائد الشعراء التي تتغنّى ببطولة القدّيسات، ولا تلتقطه عدسات الكاميرا.

بين أسطورة الإرهاب وأسطورة المقاتلات الكرديّات

لا يُمكن لأيّ إنسان ألّا تهزّه مشاهد أسر النساء الإيزيديّات وسوقهنّ كسبايا إلى أسواق للنخاسة، ولا شكّ أنّ الصورة التي صدّرها تنظيم «داعش» عن معاملته للمرأة واحتقاره لها وكلّه باسم الشرع والدين، وكما أنّه لا يُمكن إنكار ما ظهر من صور اضطهاد للمرأة السوريّة و امتهان كرامتها في بيئات الثورة على يد التنظيمات الإسلاميّة المقاتلة، وكان هذا كلّه مناسبة وفرصة عظيمة لتكريس صورة المقاتلات الكرديّات كأساطير وخرافات نقيضة لتلك الصور الفظيعة التي شاهدها العالم.

تلتقي هذه الأسطورة بشكل مباشر وتتقاطع مع عناصر أسطورة أخرى هي « الإرهاب»، فمنذ أسطورة ابن لادن، وفي معنى يقترب من صياغة أسطورته يمكن أن نتعرّف أيضاً إلى أسطورة «الإرهاب»، فنحن من خلال أسطورة ابن لادن ندرك التشابه الكبير في كيفيّة صنع الأساطير الحديثة في الإعلام والسياسة أيضاً، والتي بلغت ذروتها في الكيفيّة التي بها صيغت معلومات وخبر وفاته، إذ يقوم معظم تلك المعلومات على مصادر محدّدة، وليست هناك من جهة محايدة شاهدة على ما قيل إنّه قد حدث، وبالتالي تصبح لدينا في هذا الخصوص قصص تصلح لتقترب من مفهوم «الخرافة»، أكثر ممّا تقترب من الواقع والحقيقة.

وتبين الحكايات التي تُروى حول هذا الأمر لنا معنى صياغة الخرافة والأسطورة في وسائل الإعلام، فمفهوم الإرهاب أيضاً من المفاهيم التي اشتغلت عليها وسائل الإعلام، الغربيّة أوّلا، ثمّ تناقلتها وسائل الإعلام العربيّة وغير العربيّة، دون أن توجد لها صيغاً تقرّبها من الحقيقة والواقع، فما زال مفهوماً ملتبساً لا وجود واضحاً له ويتحمّل العديد من التأويلات، ويتمّ استخدامه في مناسبات وشروط غالباً ما تناقض بعضها بعض، لكنّها قد تلتقي في شكل واحد، ألا وهو استخدام الكلمة في التعريف لكلّ الأنماط السلوكيّة التي لا تتقبّلها الذهنيّة الغربيّة المعاصرة، وكمفهوم ملتبس وغامض خارج إطار تعريف واضح حتّى اللحظة، باتت الدلالة عليه في تكريس الصورة تلك هو «مقاتلة الإرهاب»، ذلك الإرهاب المتمثّل بتنظيم «داعش» اليوم.

وكيف إذاً لا تزداد أسطورة المقاتلات الكرديّات بريقاً و لمعاناً حين تلتقي بأسطورة «داعش» لتتنعش أكثر فأكثر، وليصبح للإرهاب والعنف وجهة واحدة ومظهر واحد وكلّ ما سواه هو النقيض، حتّى لو مارس أبشع صور التوحّش كتلك التي مارسها المقاتلون الأكراد في سورية من قتل ومجازر وتهجير وحرق المنازل بعد نهبها، تلك الصورة التي تبزّ «داعش» بخطوات، بل وتتماهى معها أيضاً في اجتذاب المقاتلين المرتزقة من كلّ أنحاء العالم، فمن «جيل روزنبرغ»

المقاتلة الإسرائيليّة التي قال عنها راديو إسرائيل: «هذه المرأة قرّرت دعم الأكراد من خلال خبرتها العسكرّية التي اكتسبتها خلال خدمتها في الجيش الإسرائيليّ»، إلى العشرات بل المئات غيرها ممّن باتوا يقاتلون في صفوف الوحدات الكرديّة مثلهم مثل آلاف الأجانب في صفوف «داعش»، لكن الارتزاق أنواع وأنماط ومنها ما هو محمود ومرغوب عالميًّا، ومنها ما هو مغضوب عليه.

لا شكّ أن فائض العنف فى مجتمعاتنا كبير جدًّا، وله جمهوره وضحاياه أيضاً، ولا شكّ أنّه يوجد احتياطيّ هائل من الراغبين أو الحالمين بممارسة العنف والجريمة على غرار ما يقوم به أبطال الأساطير «الداعشيّة» والكرديّة (الأبوجيّة)، ولعلّ الإقبال على استهلاك عنف الأساطير تلك و ترويجها والاحتفاء بها هو مظهر من مظاهر التنفيس الاجتماعيّ، فمشاهدة العنف تقلّل من التوتّر لدى المشاهدين، لكنّ جرعات العنف الظاهرة التي تظهر في تلك الأساطير، باتت مصدراً أساسيًّا وسبباً لتبنّي بعضها وتبريره والدفاع عنه أيضاً.

فمتى يُمكن أن تسقط تلك الأساطير التي جانب الكثير من عالم الخرافة؟ وكيف يُمكن تقبل كلّ هذا التمييز بين عنف وآخر، فقط لأنّ الأدوات والأساليب والمظاهر تختلف؟ في الإجابة على هذه الأسئلة تسقط كلّ الأساطير.

د. خولة حسن الحديد

قصّة موت غير معلن

في مجلس التعزية قالت أمّه، وكرّرت هذا القول أخته وأعادته جدّته، وخالاته: "كانت أمنيته أن يموت"، لدرجة يعتقد السامع كلامهنّ أنّ الموت خيار له، في بحثه عن حياة أبديّة في الجنة الموعود بها، إن مات شهيداً في سبيل الله. لسوء حظّ خالد لم يمت في ساحة الحرب، ولم يمت صدفة بسبب صواريخ أو براميل الغدر التي تحمل الموت دون تمييز بين الضحايا، لكنّ موته حدث وفق ما أدلت به زوجته عند الاتّصال بأهله أنّه قتل قنصاً في أحد شوارع المخيم، وفي منطقة آمنة بالنسبة له. ولم تكشف بعد ملابسات موته.

غيّب الموت خالداً... قصّة من بلدي، تشبه آلافاً غيرها من قصص سمعنا بها في سياق الصراع الدائر في سورية، شباب قضوا أو ما زالوا ينتظرون نحبهم.

ليست القضيّة سرد قصّة حول موت شخص في وطن فاض الموت فيه وفاق حدود التصوّر.

بل هي قضيّة آلاف الشباب السوريّ، الذين تحوّلوا من موقع إلى آخر على وقع التحوّلات والظروف التي فرضت شروطها عليهم، وأخذتهم في تيّارها.

لم يُكمل خالد الثامنة عشرة من عمره عندما اندلعت انتفاضة الشعب السوريّ. كان يمتلئ حماساً وثورة.

تمرّد على محيطه العائليّ، وهو ابن عائلة تنتمي إلى الطبقة الفقيرة من المجتمع السوريّ تعيش حدّ الكفاف.

الأب عامل في إحدى مؤسّسات الدولة، يملك بيتاً في حيّ من أحياء دمشق الفقيرة.

يتألّف البيت من غرفتين يعيش فيه مع أفراد عائلته الستّة.

خالد كان ابنه البكر لم يتابع تحصيله العلميّ، وترك المدرسة من الصف السادس.

ومنذ بداية الأحداث، انضمّ إلى الثوّار، وشارك في الحراك السلميّ متظاهراً حيناً، ومشيّعاً الشهداء أحياناً أخرى.

تركّزت مشاركته في حيّ الميدان حيث توجّه شباب المخيّم الثائرين إلى الحيّ القريب إليهم، في مرحلة تحييد المخيّم عن الحراك.

اصطدم خالد مع والده لدرجة الخصام، خاصّةً عندما أُجبر والده العامل في الدولة على حمل العصا وملاحقة المتظاهرين، في ظلّ السياسة التي اتّبعها النظام بداية الأحداث، في محاولة منه بثّ الفرقة والخوف بزجّ الجميع في مستنقع الاقتتال. وعلى الرغم من تأكيد الأب أنّه لم يستخدم الضرب ولم يشارك في هذه المهزلة، إلّا أنّ الابن قطع صلته بالبيت، ولجأ إلى أصدقائه، مدفوعاً بالحماس، مردّداً شعارات الحرّيّة، هاتفاً للثورة والثوّار.

تحوّل المخيّم والمناطق القريبة منه إلى ساحة معارك، بعد أن استهدفه النظام بالأسلحة الثقيلة، حيث أُجبر الأهالي على ترك منازلهم، وبقي خالد وحيداً في بيت العائلة، حمل السلاح في صفوف الجيش الحرّ، لم تبدُ عليه أيّاً من علامات التشدّد خلال السنة الأولى من الصراع، حين شارك في الحراك السلميّ، وبعدها حمل السلاح دفاعاً عن المتظاهرين وعن النفس، في مواجهة العنف الدمويّ الذي استخدمه النظام، وبعد أن زاد البطش والاعتقال، وطال الشباب على الحواجز أثناء الدخول أو الخروج من المخيّم.

من شرفتي كنت أشاهد خالداً في سيّارة تتبع للجيش الحرّ، بعدها بأشهر شاهدته بسيّارة أو بالأصح سوزوكي مكتوبٌ عليها "صقور الشام".

ومع توالي الأحداث وتطوّرها، وبإغلاق المخيّم أمام حركة الدخول والخروج، تعرّض من تبقى من السكّان للحصار والتجويع.

وكانت أمّه تخبرني ما يدور بينهما من أحاديث، عبر الواتس آب، تقرؤها لي في كثير من الأحيان، وهي في حالة من الغضب والخوف الذي يتزايد يوماً بعد أخر.

وكانت الأمّ تدعوه لترك السلاح خاصّة بعد التسوية التي جرت في يلدا وببيلا.

تمنّت أن يكون ابنها من الذين دخلوا في التسوية، غير أنّ خالداً سلك مسلكاً متشدّداً متأثّراً بأصدقائه المتشدّدين الموزّعين بين النصرة وداعش. أخذ يخاطب أمّه بالشرع، وهي تقف مذهولة وتقول له:

"أتحسبنا بلا دين، وأنت المؤمن؟".

الأمّ غير مصدقة ابنها الذي لم يلتزم يوماً طقوس الدين صوماً أو صلاة، رغم أنف عائلته المحافظة سلك مسلك اللهو، واليوم جاء يعطي العائلة دروساً في الدين.

بذلت الأمّ جهدها لتحافظ على خيوط التواصل مع ابنها، أنهت معه الحوار مرّة بوصيّتها ألّا يقتل أحداً، قالت إنّه وعدها بذلك.

ومع ازدياد أعمال التدمير والموت على اختلاف أشكالها، التي تركت ندوباً عميقة في نفوس كلّ من شاهد جثث الضحايا محروقة أو مقطّعة أشلاء أو مدفونة تحت الأنقاض، وبارتفاع حصيلة الضحايا من المدنيين الأبرياء قتلاً واعتقالاً، مضافاً إليه الحصار وما نتج عنه من آثار مروّعة بين سكّان المخيّم.

فشلت التشكيلات الصغيرة المبعثرة من الجيش الحرّ في فرز قيادة موحّدة في الداخل المحاصر، وأخذت تبحث عن منافعها الخاصّة، مع الجمود في ساحة المعارك وتلقي الضربات من بعيد.

وكان لنزوح السكّان أثر في إضعاف التيّار المدنيّ، حيث أخذ السلاح موقع الصدارة.

نمت نزعة الحقد والكراهية والرغبة بالثأر، فأخذت تظهر وتنمو تيارات جهاديّة بخلفيّة فكريّة تخرج الإنسان من أرض الواقع إلى السماء، وتعبّئ المجاهدين بأفكار الثأر والجهاد في سبيل الله، إذ ليس المهم أن تنتصر، بل تقديس فكرة الموت على الحياة، وليس الموت من أجل سعادة الأجيال القادمة بل الموت من أجل سعادة المجاهد في الحياة الأبدية. ليس المهمّ أن ترضي الناس بل المهمّ رضى الله. رفضوا الالتزام بكلّ ما أنتجه البشر من قوانين وأعراف في الحرب.

وتمّ تقسيم المجتمع إلى فريقين؛ كفرة ومؤمنين.

الخلاصة أنّه في مواجهة واقع الحصار والجوع والموت الذي يفوق قدرة البشر على التحمّل أسباب سهّلت دور القوى المتشدّدة أمثال داعش والنصرة، لابتلاع المجموعات المبعثرة، ضعيفة الخبرة القتاليّة، في ظلّ غياب قيادة سياسيّة وضعف العتاد، والحاجة لأفكار تناسب الوضع وتبعث فيهم القوّة والأمل. سيطر منطق الثأر لجرائم النظام، ونمت مشاعر الحقد والكراهية؛ التربة المناسبة للتطرّف.

نجا خالد من جميع المعارك الكبيرة والصغيرة ومات قنصاً، ليبقى موته لغزاً لم تنكشف أسبابه بعد.

وصلتني رسالة من أحد أفراد عائلته تقول:

"خالد مات!"، لم أردّ على الرسالة، سارعت إلى بيت أهل أمّ خالد لقربهم من مكان إقامتي، لأستوضح الأمر، وجدت أمّ خالد وأمّها وأخواتها والبنات من أولادهن قد اجتمعن، ما أثار استغرابي، تجمّعت نساء العائلة حول كميّة كبيرة من الملوخيّة، لفرزها وتنظيفها وتموينها للشتاء، بلباسهم المعتاد، وبألوان مختلفة، لا وجود للأسود لباس الحداد المألوف في مثل هذه المناسبات!

لا صوت للقرآن أيضاً! لا إشارة إلى وجود عزاء في هذا البيت!.

دخلت تأكّدت من واقعة الوفاة وقدّمت واجب العزاء، تعزية بالسرّ.

لقد تمّ نشر الخبر في أضيق نطاق على مستوى الأقارب والأصدقاء. فالحذر واجب أو الخوف سيّد الموقف.

الأمّ المكلومة بوفاة ابنها تحبس دموعها غير مصدّقة، تجلس صامتة مردّدة: "هو يريد ذلك".

وأكثر ما يزيد من حزن نساء العائلة أنهنّ لم يودّعنه.

خمس سنوات مضت لم تره أخته المتزوّجة ولا جدّته ولا خالاته، والده لم يره أيضاً، وكان يرفض الحديث معه عبر الموبايل، الأمّ هي التي كانت تزوره برفقة ابنتيها الصغيرتين، بعد أن سمح النظام لسكان المخيّم زيارة بيوتهنّ أو زيارة أولادهنّ بعد تلقي دعوة ممّن تبقى من عائلاتهم هناك، وبعد الموافقة بشكل رسميّ على الزيارة.

اللقاء الأوّل بين الأمّ وولدها بعد ٤ سنوات من الفراق، كان مؤثّراً لدرجة كبيرة، أمّا الزيارة الأخيرة فكانت قبل وفاته بأسبوعين، إذ تعتبر الأمّ نفسها محظوظة لأنّها ودّعته.

خالد أكمل ٢٣ عاماً، تزوّج منذ ثلاث سنوات زواجاً أغضب الأهل حينها، لكن تمّ استيعاب حالة شخص يعيش وحيداً بلا عائلة أو أقارب.

فلا بأس من وجود زوجة تساعده وتؤنس وحدته في منفاه.

أنجب طفلة لم تكمل السنة الأولى من عمرها بعد، وهي اليوم يتيمة الأب، وغير مسجّلة في سجلّ الأحوال المدنيّة، لأنّ الزواج قد تمّ بعقد عرفيّ، ما يتطلّب وضعاً آمناً لخروج الأمّ وتسجيل ابنتها بعد إجراء دعوى تثبيت الزواج.

خرجت من العزاء لم أجد ما يحرّك مشاعري إلّا عندما أجهشت الأمّ بالبكاء فبكيت، وصورة الأب كانت مؤثّرة، يجلس وحيداً في غرفة خصّصت لعزاء الرجال، مطرقاً رأسه مستغرقاً في قراءة القرآن عبر الموبايل. أيّ عزاء هذا؟ لا يستطع الأب وحتّى الأمّ البكاء بصوت مسموع، وليس بمقدورهم الاستماع إلى صوت القرآن، خوفاً من شبّيحة الحيّ كما هي العادة في هذه المناسبات.

دمعة متحجّرة في العيون الخائفة، وعزاء الأهل أنّ تلك كانت أمنية ولدهم، يستعجل موته ليذهب إلى الجنة.

والسؤال أليست الظروف هي التي أنتجت التطرّف؟

أليس تغيير الظروف كفيل بعودة كثير من الشباب المتشدّد من السماء إلى الأرض إلى حضن المجتمع؟ أليست عمليّة مقصودة من الدول الداعمة والحامية والمتفرّجة على ما يجري في سورية جرّ الشباب إلى هاوية التشدّد لتضمن إطالة زمن الحرب وتحقيق مصالحها؟ والثمن دائماً دمنا وحاضرنا ومستقبلنا.

اللوحة للفنان بشار الحروب

سحر حويجة
عن "شبكة المرأة السوريّة"

لم نأتِ لنبارك، أتينا لنعزّي

استدلّينا على المنزل بصعوبة، ووصلنا باكراً قبل كلّ الضيوف بسبب خطأ في الموعد، استقبلنا أهلها بودٍ بالغ. تعجّبت كيف لأناس لطفاء إلى هذا الحدّ أن يفعلوا كذلك بابنتهم!؟

والدها بدا حنوناً جدًّا، على عكس صورته التي كوّنتها في ذهني لمجرم عنيف يضرب ابنته ويكسر يدها، ثمّ ظهرت هي من إحدى الغرف وشعرها الملفوف المنفوخ والمتكوّم لا يناسب ضآلة حجم جسدها، وجهها باهت أصفر، كانت كائناً فضائيًّا.

بدأنا بتحطيم البرود بالقبل والاحتضان والزغاريد المصطنعة التي كشفت قلّة خبرتنا في هذا الفنّ! جلسنا على الأرض، وحدنا في غرفة نظيفة وخالية من الأثاث، علمنا بعدها أنّها مكان الحفل، شرعنا نرمّم زينتنا، ونزيد عليها.

ستّ فتيات في السادسة عشرة من عمرنا، لا يزال لدينا الكثير من الأسئلة حول أجسادنا، ونحن في حالة بحث دائمة عن الإجابات في أجساد بعضنا، نتلمّس ونسأل أسئلة نخجل من طرحها، بعد أن ظهرت مفاتننا في الأثواب الضيّقة الكاشفة.

أُخرجنا من الغرفة ليجهّزوا العروس، استغرقوا ساعات في تلبيسها ودهنها بالمراهم المعطّرة المبيّضة كما تدهن اللحوم بالتوابل والكاري وورق الغار للتعطير، ترآى لنا أنّها خروف العيد، تبادلنا الكثير من نظرات الحيرة والجمل المهموسة، كانت ملامحنا تتغيّر باستمرار عند سماع رواية إحدانا ما كانت النسوة تلقّنها للعروس، عبسنا جميعاً:

«اذا بتضلّي قالبة خلقتك هيك رح أضربك كفّ ما تنسيه بحياتك، رح تشوفي شي ما بيعجبك!» قالت عمّة العروس بعد أن لكزتها بقسوة.

بدأ الضيوف بالتهافت، دخلنا إلى الغرفة التي قفلت على العروس والنسوة منذ ساعاتين تقريباً، مظهرها أوحى بالهدوء، على عكس ما كانت عليه منذ سنة حين انتابتها نوبة بكاء حادّة في الفرصة بين الحصص يوم إعلان خطوبتها، يومها كانت ثائرة جدًّا، ربّما الآن شعرت بالتسليم لم يعد هناك من ينتظرها أو يكترث لأمرها كما قبل عام.

بعد التبرّج أصبحت تشبه الدمى الصينيّة، وما زاد هذا الشبه، وقفتها التجمّدية كفزّاغة.

أمسكتُ يدها التي كانت متخشّبة ومنفرجة الأصابع وضغطت عليها لأبدّد برودتها، كنّا نتصبّب عرقاً من الحرّ بينما أطرافها متجمّدة من البرد، كسرتُ الظفر الاصطناعيّ الملوّن بنقشة تشبه نقشة أغطية الطاولات والشراشف. أشارت مازحة أنّها متضايقة منهنّ، وعليّ أن أكسرهنّ كلهنّ. لم تتغيّر، هذه هي، تُلقي الدعابات السخيفة في أسوأ الأوضاع، اكتشفتُ بعدها أنّي افتقدت تلك الدعابات وتصرّفاتها الوعرة الجميلة كتطوّعها لحمل المقاعد والكراسي الثقيلة، وتشميرة الساعد المشهورة بها.

بدأت الأغاني بالصياح، بعد أن صففنا الكراسي ليجلس عليها الضيوف الذين كان معظمهم من العجائز اللائي لم يصفقّن حتّى!

كنّ مشغولات بتفحّص أجساد الواقفات وسط ساحة الضيقة المخصّصة للرقص مهمّتهنّ إضفاء صفة الموت والحزن الشكليّة للزفاف.

حاولنا جذبها للرقص، نفس النساء في عرس ابنة عمّها وخطبة ابنة عمّها الثانية، اللواتي كنّ زميلاتنا في نفس الصف، ضحكنا على نفس المواقف، وبكينا معاً لألم إحدانا، ذات النساء مع ألوان شعورهنّ الصفراء الفاقعة والعباءات الطويلة المزركشة وألوان ظلال العيون الخضراء والصفراء وكريم الأساس المشترك بينهنّ جميعاً، بأفتح درجة موجودة في السوق.

فوّتنا اتّصالات أمّهاتنا القلقة لنبقى أكثر، حان وقت الرحيل، احتضنّاها مراراً وتكراراً وذهاباً وإياباً، وأعدنا التوصيات الساذجة بأن تهتمّ لنفسها، وتلك الدموع الشقيّة التي حاولنا كتمها طوال الوقت تمرّدت على إرادتنا، مسحنا دموعها التي أنّبتنا أمّها وحمّلتنا ذنب تخريب مكياجها بسببها.

في طريق العودة، اشتركنا بصمت متآمر بيننا، وبقلّة حيلتنا، ولم ننم ليلتها لأنّها سكنت أحلامنا... واقترب زفاف ابنة عمّها المخطوبة.

فرح بشّار
(١٦ سنة)

البلاد العربيّة في أثناء الحرب العالميّة الثانية 1939 – 1945

في الإعادة إفادة

جورج حبيب أنطونيوس (1892 – 1941) ولد في دير القمر- لبنان، تخرّج من جامعة كامبردج، عمل في فلسطين بدائرة المعارف، كما عمل سكرتيراً للوفد العربيّ إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام 1939.ثمّ تفرّغ لخدمة القضايا العربيّة.

من أهمّ مؤلّفاته كتاب "يقظة العرب: تاريخ حركة القوميّة العربيّة" ومنه نقتطف*:

«لايلدغ المؤمن من جحر مرّتين».

كان هذا الحديث لسان حال أكثر العرب عند اندلاع الحرب العالميّة الثانية. واتّصف موقف العرب من الحلفاء بالفتور. فقد كانوا أوّلا ساخطين على الحلفاء لاعتقادهم بأنّ هؤلاء خدعوهم بعد الحرب العالميّة الأولى.

وزعزع الصراع المتواصل ضدّ دولتيّ الانتداب، بريطانية وفرنسة، ثانياً، ثقة العرب في أن يكون انتصار الحلفاء خير كفيل لتحقيق آمالهم القوميّة. وكان المعتدلون والمتطرّفون على السواء، ثالثاً، يعتقدون بأنّه إذا أمكن انتزاع أيّ تساهل من الحلفاء فإنّ أفضل وقت لانتزاعه هو في ذلك الحين والحلفاء في شدّة أدعى إلى التساهل من أيّام الفرج.

ثمّ أنّ دعاة ألمانية وإيطالية، رابعاً، لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل اغتنموا الفرصة، وسهّل عليهم المهمّة ما أحرزه النازيّون والفاشستيّون من نجاح بادئ الأمر، وقلّة اكتراث الحلفاء بآمال العرب ومطالبهم المشروعة.

وقد زادت ذكريات السنوات التي سبقت الحرب مباشرة من سخط العرب واستيائهم. فأنّ تنازل الفرنسيّين عن سنجق الإسكندرونة للأتراك، وعدم تصديق الفرنسيّين على المعاهدتين اللتين كانتا قد عقدتا مع سورية ولبنان سنة ١٩٣٦، وبصفة خاصّة محنة العرب في فلسطين كلّ هذه نفّرت العرب من الحلفاء بكثرة في أقطار البحر المتوسّط الشرقيّة ما جعل انتفاض العرب أمراً أقرب إلى المغامرة منه إلى العمل الإيجابيّ المدروس.

ومهما يكن من أمر فإنّ ذلك لم يمنعهم من اتّخاذ موقف سلبيّ من مجهود الحلفاء الحربيّ. وقد زادت الضائقة الاقتصاديّة التي حلّت بالمنطقة خلال الأشهر الأولى من الحرب مخاوف العرب وأعادت إلى أذهانهم شبح المجاعات التي نزلت بهم خلال الحرب العالمية الأولى.

وعندما سقطت فرنسة في سنة ١٩٤٠ أعلنت السلطة الفرنسيّة أنّها مصمّمة على «حمل رسالة شرقيّ المتوسّط». وأوضح البريطانيّون أنّهم «لا يستطيعون السماح باحتلال سورية ولبنان من قبل أيّة دولة معادية أو باستخدامها قاعدة لأعمال العدوّ». وكان سواد الشعب متلهّفا إلى التخلّص لا من الفرنسيّين فحسب، بل ومن كلّ سيطرة أجنبيّة أيضاً. وبانسحاب الفرنسيّين من جمعيّة الأمم المتّحدة في ١٨ نيسان ١٩٤١، اعتبر الشعب بأنّ الأساس القانونيّ لحكومة الانتداب قد زال. وفي هذه الأثناء كانت الأزمة الاقتصاديّة تزداد خطورة، بينما كانت قلّة المواد الغذائيّة الأساسيّة وإخفاق السلطات في إيقاف الاستغلال تعمل على خلق قلق لم يلبث أن ساعد على قيام حركة سياسيّة تطالب بإقامة حكومة وطنيّة في الحال.

وكانت السلطات الفرنسيّة عاجزة، وخاصّة لأنّ المركز الحقيقيّ للحياة السياسيّة في سورية بل وفي ديار العرب كان في بغداد. فمنذ الثورة الفلسطينيّة (١٩٣٦ – ١٩٣٩) التي أسهمت فيها البلدان العربيّة المجاورة بالمساعدات الماديّة والمعنويّة ظلّ الاعتقاد سائداً بأنّه لا يمكن حلّ المشكلات التي كانت تقضّ مضاجع العرب وتقلقهم إلّا بتوحيد الكلمة والجهود بزعامة العراق الذي كان يتمتّع بحرّيّة في العمل أكبر ممّا كانت تتمتّع به الدول العربيّة الأخرى.

كما أنّه كانت لدى العراق نواة لجيش مدرّب. وقد قوّى هذا الاعتقاد بتأثير عشرات من السوريّين واللبنانيّين والفلسطينيّين الذين كانوا يعملون في حكومة العراق معلّمين وموظّفين في الإدارة المدنيّة، وبتأثير عدد من المنفيّين السياسيّين الذين لجؤوا إلى العراق خلال السنوات الأولى من الحرب.

ومهما يكن من أمر، فإنّ التطوّرات في سورية أثارت مخاوف إثر في قيام نوري السعيد، وزير خارجيّة العراق آنئذ وحليف بريطانيا المحنّك، بزيارة إلى أنقرة وبيروت ودمشق وببيانه الذي أصدره على إثر هذه الزيارة أنّ الحكومتين التركيّة والعراقيّة تعتقدان أنّ سورية للسوريّين وأنّها يجب أن تظفر باستقلالها.

العراق: وقد جاءت أوّل محاولة للتخلّص من السيطرة الأجنبيّة من العراق على يد رشيد عالي الكيلاني، أحد رؤساء الوزارات السابقين والوطنيّين المتشدّدين. وقد رفع رشيد عالي لواء الثورة عقب انقلاب قام به لمصلحته عدد من رؤساء الأقسام في الجيش في ٤ نيسان ١٩٤١...

***الصفحات (٣٥ – ٣٦ – ٣٧) من كتاب «يقظة العرب» دار العلم للملايين – بيروت – طبع ثامنة ١٩٨٧**

أطلقيني يا أمّي! فأنا عصيّة على البوح

كلبوّة مسلوبة الحرّيّة، تختبر ترتيب أفكارها، على ذات الرتم المميت، على ذات الوقع البارد الثقيل لخطى سجّانها في تلك الزنزانة، على شكل عار أو حتّى فضيحة.

فخديجة اليوم أسيرة، مثخنة بالأوزار، مسربلة بحالة من لاوعي، من لا مكان ولا زمان، فآخر الأزمان كان... يوم كانت خديجة... خديجة! وأيّ خديجة؟! بثلاثين سنة من طفولة لم يعكّر صفوها سوى أيّام معدودات من كلّ شهر، ونهدين كما لو كانا فرسين جامحين..

كما لو قدرين متزامنيين متقاطعين، فتارة جنّة ومرّات نار، كما لو كانا دجلة والفرات...

وعلى ضفاف الفرات، تأخذها الذكرى موغلة في العمق إيلاماً، عشرة سنين أو أكثر، أو أبعد... !! فلا حدود واضحة للزمان في ما تبقى لها من عصارة روح، لتحطّ بها في فناء دارهم القديم، ولو لساعة أو لحظة أو حتّى ثانية، علّها تستحضر وجه أمّها الملائكي، باكياً مع كلّ آذان، مع كلّ وداع كما لو كان الأخير!

لقد كان الأخير يا أمّي! لقد كان حتماً الأخير، فأنا هاهنا مقيّدة بعاري، أستحضر تهمتي في اليوم آلاف المرّات، حتّى أعيها ولو لمرّة.

بماذا أذنبت حتّى أدفن في زنزانة منفردة؟ وهل يعييني أنّني ابنة معتقل؟

إذاً، لماذا يتوجّب علينا أن ندفع فاتورة الحرّيّة أثماناً باهظة، على شكل أرقام؟

فهنا نكنّى بالأرقام، وأنا أدعى اليوم بالرقم الخامس بعد المئة، لعلّ مئة وأربع نساء سبقنني إلى هذا المكان، ربّما قتلن هنا، أو أغتصبن هنا، ولكنهنّ بالتأكيد كنّ جميلات، بأسماء، بتاريخ ميلاد، وتاريخ زواج، وأرقام لاتحصى من قصص حبّ عذراء.

كنّ حكايات جميلة، وأصبحن مجرّد أرقام، كما أنا اليوم، الرقم الخامس بعد المئة، في الزنزانة الخامسة، في السرداب الثاني، يشتاق اسمه كثيراً، فلفظ خديجة أو خدّوج، يعيدني إلى الجنّة، إلى حضنك يا أماه.

فاحضنيني اليوم، كما كنّا نفعل. احتاجها اللحظة أقوى من كلّ مرّة، حتّى تعود دورتي الدمويّة في الاتجاه الصحيح، لأشعر بأطراف أصابعي كما لو كانت أعواد خيزران، لأستشعر بجسدي كما لو لم يكن رقماً فحسب.

فنحن الأكراد يا أمّي، نحمل في جيناتنا عداءً فطريًّا للأعداد الفرديّة منها أم الزوجيّة لافرق، مادمنا بلا هويّات، أو قيود مدنيّة!

وها أنا هنا، بكلّ ما أنجبت البشريّة المريضة من قيود، مكتومة كما كنّا دائماً، مثقلة أكثر بوابل من الأرقام من كلّ حدب وصوب، يوخز روحي، يعتصر وجداني، يسلبني ما تبقّى من قوّتي، يحرّكني كما لو كنت دمية من خشب، كما لو كنت عرضاً بهلوانيًّا مفرطاً في البلاهة...كما لو كنت كما أرادونا، نكرة!

فلا تنكري وجودي يا أمّي، ونحن الذين عشنا تحت وطأة شديدة من نكران. لاتبكيني بصمت.

أجهشي بالبكاء كما فعلتِ يوم اعتقال والدي. اجهشي بالبكاء عالياً ولا تحرميني شرف دموعك يغسل عاراً لم أكن يوماً طرفاً فيه.

كما نحن اليوم، أطراف بصراع محموم، لا ناقة لنا فيه ولا جمل، فتارة نحن الجلاد، وتارات نغدو ضحايا، نُقتل ونَقتل باسم الحرّيّة،

نرتكب أفظع الجرائم وأقساها، أقساها يا أمي.

فهل يوجد في هذا العالم المستعر غضباً أقسى من أسجن أعداداً لا متناهية من الأيّام أو السنين لا فرق، دون أن أعرف هويّة سجّاني أو أهتدي إليه سبيلاً، فلا قدرة لي على الانتقام، ولا طاقة لي على النسيان؟!

فإيّاك والنسيان! أحتاجك اليوم أكثر، وقد بدأت أنسى ملامحي، صوتي واسمي وميلادي، لا تنسيني وأنت قيدي المدنيّ، سجلّي، تاريخي منذ ولدت وحتّى أموت، لا تتركيني هنا للنسيان، كمجذومة تعاني كومة من عُقد تمتدّ عشرات السنين!

لا تتركيني لوحدتي، وأنت وجهي المضيء، مصباحي بوصلتي وسراجي في هذا الطريق العاتم، أمشي فيه الهوينى كما بدأت، أقترب من الجوهر، وأدرك أنّني على طريق الآزادي، أحتاجك أكثر، كوشاح أو مدوّنة أفرّغ فيها ذاتي.

فلا تنكريني، واكتبيني كما لو كنت بيتاً في قصيدة، يغنّيها أولاد حارتنا في الأعراس، تدرّس في كتب التاريخ، وتردّد في باحات المدارس، وفي كرّاسات الأطفال، أو ارسميني علماً بألوان، كما كانت ثيابنا، مزركشة بطهارة وإغواء، وردّديني كأبجدية كرديّة خالصة، علناً يا أماه! علناً وجهراً، فأجمل الأشياء ياحبيبتي، تلك التي نفعلها علانية!

لا تقصيني كما فعل الكثيرون، فلا يؤلم الكرديّ أكثر من عذاب الإقصاء، اطلقيني نجمة فوق الشام، وحنّي أقدامي ابتهاجاً بالنيروز، ودعيني أسقط الهوينى، كشهاب، كلحن هادئ، كترنيمة، كقيثارة تعيد لأبجديّتي حروفها المسلوبة.

اطلقيني خديجة... باسم وهويّة وقيود مدنيّة، مسقط رأسي عامودا، ومماتي في زنزانة، تمتدّ على طول بلاد الشام وعرضها، اطلقيني، امرأة قبل الأوان بلا أوزار، عصيّة على البوح يا أمي؛ فسنيّ الاعتقال أقسى من أن تباح، أقسى من أن تباح في قصائد الشعر العربيّة!

ميس باشا

سردات فيسبوكية

١/ المعاومة والمقانعة

أحد الأصدقاء خاف أمس من كلمتَي «المعاومة والمقانعة»، طمأنْتُه إلى أنه لا علاقة لهما بكلمة المضاجعة، لكن في سري أعتقد أن لهما علاقة بالاغتصاب الجنسي القسري.

عمر التنجي

٢/ علف إعلامي!

ما زلت أنتظر الإثباتات على إسقاط طائرات العدو الصهيوني الغاشم من قِبل الجيش العربي السوري الباسل الوطني:

حطام الطائرات أو فيديوهات توثق السقوط أو أسر الطيار الاسرائيلي الجبان وخروجه على التلفزيون والاعتراف بجريمته النكراء بالاعتداء على السيادة الوطنية... أيّ شيء... أيّ شيء المهم إثبات ودليل على أن هذه القصة بمجملها ليست مجرد عَلف إعلامي يجتّره مؤيدو الطاغية.

المشكلة هي أن بعض «المثقفين المعارضين» من جماعة الجيش الوطني والحفاظ على مؤسسات الدولة تمت دعوتهم لهذا العلف الإعلامي ولقد شاركوا بشراهة وتسلم الأيادي.

عزام أمبن

٣/ ظواهر علمية مدهشة

ليل نهار والدته تتحدث عن سوء أخلاق العرب والمسلمين في هذه البلاد مقارنة بالأمريكيين، وكيف يغشون ويكذبون وينمون ويغارون ويطقون البراغي لبعضهم، على عكس الأمريكيين الأخلاقيين الملتزمين بوعودهم والذين لا يحطمون بعضهم كما تقول.

في نفس الوقت أينما جلست هذه الأم تسأل عن عروس عربية مسلمة لابنها، تقول: بدي جوزه بإيدي بخاف ياخدلي وحدة من رفقاتو بالجامعة، هدول الأجانب لا أخلاق ولا دين. يسألني صديقي (ابنها) عن تفسير هذه الظاهرة، فقلت له: الحقيقة هذه من الظواهر العلمية المدهشة التي لم يجد العلماء تفسيرا لها بعد...!!!

إياد شربجي

٤/ وجه سوريا الحقيقي

في لازمة مكرورة اسمعها تقريبا في كل مناسبة فنية أو ثقافية يقيمها سوريون في الغرب اليوم: «هذا وجه سوريا الحقيقي»، «هذا ما يعبر حقاً عن السوريين».

إما أني كنت في سوريا موازية، أو أن شيئاً ما فاتني هناك! في سوريا التي أعرف كانت الغالبية الساحقة من السوريين لا يرتادون دار الأوبرا والمسارح والمعارض الفنية.

لم أعرف عنهم أنهم اعتبروا أن هذه المنابر هي ما يختصر ثقافتهم وعاداتهم ومعتقداتهم، التي هي بدورها غنية ومختلفة ومتنوعة بتنوع مناطقهم وطبقاتهم.

ما بستسيغ هذا الخجل المواربالذي يريد تأكيد أن السوريين هم صورة عما يناسب الآخرين أن يروه.

في شي تبريري هزيل بهالكلام.

والله السوريين متل غيرهم، أشكال ألوان، في منهم دواعش وفي منهم غلاة بالعلمانية. ما بعرف فعلاً ما الوجه الحقيقي للسوريين! مالقيته هالوجه لسا! وما بعرف إذا في حقيقة واحدة بتعبر عن السوريين أو عن غيرهم. اللي بعرفوا انو الأقرب للمنطق إنو العالم اليوم هو الجدير بالخجل من السوريين مو العكس.

نعيم هيلانة

٥/ يعني معقول؟

صواريخهم ما بتصيب الطيران الإسرائيلي.. أنو معقول ٥ سنين عم تجيبوا الصواريخ والقنابل بنص أسواق الخضرة في سوريا. وشقفة طيارة إسرائيلية ولسا بدون طيار ما قدرتوا تصيبوها.

ياسين الأخرس

٦/ مجرّد تصوّر

فرح و ابتهاج يسودان أوساط القيادة السورية بسبب تحلل الأسد من مركب الاحتفاظ بحق الرد ،

وقد شوهد إطلاق الأعيرة النارية في سماء العاصمة دمشق ابتهاجا لاختراق الأسد جدار الخوف في صبيحة هذا اليوم، حيث أطلقت المضادات الجوية السورية نيرانها خلف الطائرات الإسرائيلية بعد مغادرتها أجواء الجولان السورية، هذا ومن المتوقع أن تجتمع الحكومة السورية في ساعات لاحقه من هذا اليوم لإقرار يوم الثاني عشر من أيلول سبتمبر من كل عام عيداً وطنيا تعطل فيه كافة الدوائر الحكومية وشركات القطاع العام والخاص، وتسمية هذا الحدث الكبير باسم يليق بعظمة وجلال هذا اليوم التاريخي، وهناك تسريبات في أروقة مطبخ القرار السياسي بتسمية هذه المناسبة البطولية بالحركة الردادیه تیمناً بالحركة التصحيحية المجيدة.

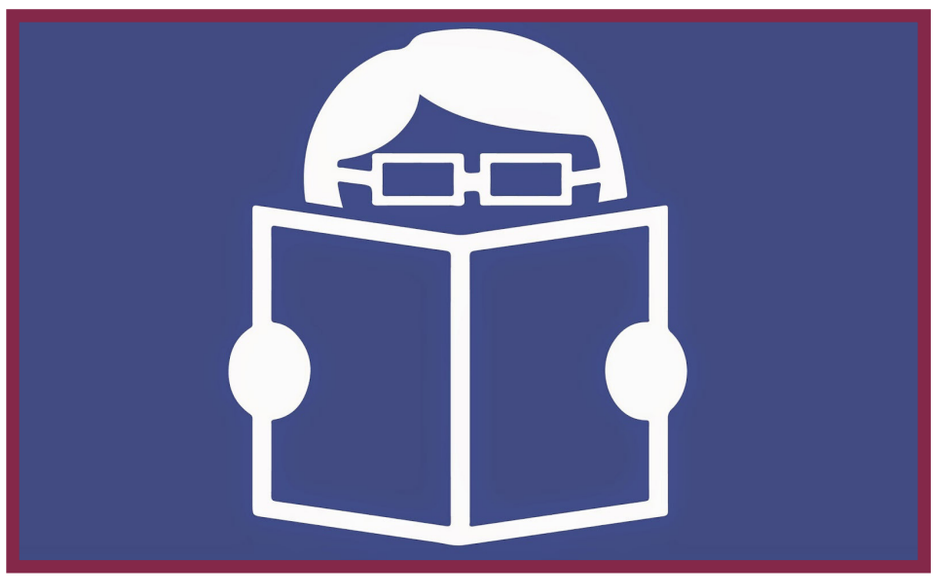

افرحي يا سوريا وارقصي طربا فرئيسك اليوم ولأول مره منذ أربعين عاما لم يحتفظ بحق الرد. هوامش / الرئيس يغتسل الآن لأنه احتفظ بشيء ما في سروالـه، وأين العيب في ذلك؟ المهم إنه لم يحتفظ بحق الرد .

فواز خليل

٧/ على سيرة الهدنة ..

انا كل مابتجي سيرة الهدنة .. بيرجع تفكيري للهدنة اللي حكولنا عنها بالمدارس، اللي كانت تنفرض على المجاهد فوزي القاوقجي والجيش العربي تبع (الانقاذ) بحرب استعادة فلسطين من ايدي الصهاينة ١٩٤٨ كل اساتذة التاريخ بيقولوا انو الهدنة الاولى والثانية كانت لمصلحة الصهاينة وان وصلتون اسلحة وذخائر وانو الجيش العربي والحكومات العربية بيعرفوا هالحكي تماما، بس كانوا يرفضوا بالاول وتاني وقلتلو لابني يجبلي صورة من شي محل لانو ميوزعوهن ببلاش إن شاء الله اليوم بيجيب ، شو رأيك جبلك كرتونة وتكتبلي ياها انت والله خطك أحلى من خطي ... قلت له: بالعكس أبو محمد خليها هيك طبيعية ومعبرة أكتر.

تنهد: هيك قولك.. والله خايف يفهموني غلط ويعتبروها مسخرة وياخدوني.. الله نداء يوافقوا طبعا (مو بكيفن) بهديك الحرب أكلوا العرب قتلة حشك ولبك (من تسع محاور) مع مراعاة فروق التوقيت، بس للأمانة كانوا ملتزمين بالهدنة مرتين، علما انو في بداية الحرب نشرت جيوش العرب خطاب عرمرم عن الزحف باتجاه فلسطين

عروة قنوت

٨/ ضاع الدم بين الدول

ليست أمريكا وحدها التي أخطأت بحق الأسد وعساكره، بريطانيا تعتقد أنها شاركت في الضربات الجوية وكذلك أوضحت أستراليا، يعني ثلاث دول لحد هذه اللحظة وكل ما زاد عدد الأطراف المشاركة راح يضمحل هامش الخطأ، وتبين القصة أنو الجماعة عملوا (الصح)

عادل العايد

شوارع الذل

في الأشهر الأولى من الثورة انتشر طاعون اعلان الولاء بسرعة كبيرة، ورغم أننا معتادون على مثل هذه الجائحات وخصوصا عند كل تجديد فترة رئاسية، أو في ذكرى الحركة التصحيحية سيئة الذكر والصيت، او في مناسبة موت الفارس السخيف، أو.. أو..

إلا أن الجائحة التي اتحدث عنها امتلكت فرادة لم تعرفها الجائحات السابقة لجهة ابتداع مفردات جديدة في لغة التذلل واعلان الولاء. ولأنها أي الجائحة لم تكن سابقا إلا للتعبير عن مدى الولاء المتعاظم للرئيس «الإله»، فقد كانت تقتصر على مديحه وتتبارى في تعظيمه وانتقاء الصور التي تظهره عالياً ومتعالياً، لكن المضاف الجديد أي الثورة أدخلها في حقل جديد، فقد ظهر أعداء وخصوم لهذا الرئيس الإلـه، وكانت شتيمة وتهديد وتبخيس وتخوين و.. و... خصوم الرئيس، هي الطاغية في هيستريا الجائحة الجديدة.

(عندما رفعوا رؤوسهم ارتطمت بنعليك يا سيادة الرئيس)...

هذه الجملة كانت هي الأكثر رواجاً وكانت تكتب تحت صورة لبشار الأسد وهو يرتدي لباسه العسكري ويعقد يديه على صدره مرتدياً نظارات سوداء، ولم يطل الأمر حتى بدأت تنتشر صور بشار الأسد ومعه حسن نصر الله يرافقهم «سيف ذو الفقار» في إشارة طائفية شديدة الوقاحة، وتبارى آخرون وأضافوا صورة «نجاد» ليصبحوا «أسود الله» أو «رجاله» وحولهم ينتصب ذو الفقار.

في الحي الذي كنت أسكنه في اللاذقية، وكان حياً موالياً، كانت الهيستريا بلا حدود، ولم يعد تعليق اللافتات مقتصراً على الشارع، ومرهوناً ببعض الأشخاص والتجار والوجهاء و.. و... بل انتقل الى واجهة كل بيت، وأصبحت كل عائلة مطالبة بإعلان موقفها من على شرفة بيتها أو نافذته إن كانت تطل على الشارع.

لم تعكس تلك الإعلانات رأي الناس أو محاولتهم لحماية أنفسهم فقط، بل عكست في أحيان كثيرة وضعهم الطبقي، إذ يمكنك إن ترى شرفات وواجهات مغطاة بكاملها بصور وجمل طنانة وربما مضاءة ليلاً، بينما ترى من اكتفى بوضع صورة للرئيس، أما من وضع لفترة قصيرة العلم السوري فقد شعر بعد مضي عدة أيام أن العلم غير كاف لتحديد موقفه وخصوصاً أن «الخصوم» كانوا لا يزالون يستعملونه .

لا أزال أتذكر أبو محمد المريض والذي اقتطع جزءا من غرفة في بيته ليحيلها الى دكان صغير بائس، والذي لم تسمح له ظروفه المادية القاهرة بأكثر من قطعة كرتون اقتطعها من مكان ما وكتب عليها بخط رديء (الله ينصر الرئيس)، كنت أشترى من عنده ما يمكن أن نحتاجه من بضاعته القليلة وربما السيئة، وغالبا أقتصر على علب الدخان، قال لي عندما رآني أنظر إلى كرتونته : والله يا أستاذ ما معي اشتري صورة ،

وكيلك أنا ما بلقى كفين، بحضي بروح فيها.

كنت في تلك الفترة أمشي في شوارع اللاذقية الموالية، كان الذل كثيفاً وثقيلاً، وكان الوطن يسحق تحت وطأة تشبيح فاجر.... وعلى مقربة من هذا الذل، وفي الشوارع التي صرخت تريد قليلاً من كرامتها، كان البشر يسحقون بلا رحمة.

بسام يوسف

ترف و رشاوى

تتكون العائلة من خمسة أشخاص، يقيمون منذ أكثر من خمس عشرة سنة في الخليج العربي، الزوج في بداية الخمسين، لديه مؤهل علمي عالي ووظيفة مرموقة ودخل جيد، مكّناه من اقتناء عدة عقارات في سورية. الابن البكر طالب جامعي أنهي سنته الدراسية الاولى؛ قررت العائلة المغادرة إلى ألمانيا، حملوا معهم من دبي ما خف وزنه وغلا ثمنه، الأب استقال من عمله والشاب ترك الجامعة وتوجهوا إلى تركيا، بوابة الرحلة الحلم والأمل المنشود.

انضمت إليهم في إزمير شقيقة الزوجة وابن شقيقها القادمان من سورية، الشابة تنشد الحياة، والصغير أرسل ليلم شمل ذويه. هو في الثانية عشرة ويستطيع تحمل مسؤولية وتحمل المخاطر بهدف لم شمل العائلة.

لا يضر بعض الأيام في أزمير والاستمتاع بالأجواء التركية الجميلة وتذوق ما لذ وطاب من نفيس المطبخ التركي حتى اليوم الموعود، هي رحلة بحرية لكن لا تشبه رحلاتهم السابقة.

كانت محفوفة بالمخاطر منذ التوجه إلى النقطة ثم ركوب الموج على متن قارب مطاطي يحمل خمسيناً من البشر غيرهم. كان الموج رئيفاً بهم، ومع الكثير من الدعاء، وصل الجميع بسلام.

لم يكن الاستقبال اليوناني لائقا ولا الإقامة، مرت تلك الأيام العصيبة، لتبدأ الرحلة الأجمل حيث التنقل بين ربوع دول أوربا والتمتع بجمال الطبيعة ودور الأزياء الأرقى والصبايا الفاتنات، وصولاً إلى قبلة اللاجين (ألمانيا).

بهذه المرحلة أيضاً، الواقع ناقض الخيال، الأمر لم يكن بتلك الرومنسية، هي طبيعة جميلة، إنما الرحلة مجهدة ولا تخلو من بعض المخاطرة والكثير من الإرهاق والمشقة، يزداد الإحساس بها بالنسبة لمترف لم يعان ضنك العيش في سورية ولا وابل القصف أو القذائف، ولا غياب أبسط مقومات الحياة الإنسانية. كان التأفف وتبادل اللوم وتحميل المسؤولية، رفاق الرحلة. القبول بالمصاعب شيء وتحمل تلك المصاعب فعلاً شيء آخر.

أخيراً وصلت العائلة ألمانيا هي فرحة لا تضاهى، هل ستفتح بوابات الجنة الآن.

لم تكن السيدة ميركل في استقبال موكب اللاجئين، ولم يكن من أحد في المحطة، كان عليهم اختيار مدينة ومركز لجوء وتقديم طلب، كانت الإجراءات طويلة ومرهقة، لا يهم.. التعامل جيد وأعداد اللاجئين كبيرة، لا يضر مزيد ومزيد من الانتظار، قدم الطعام والماء، هو بعض الوقت وبعض التعب ليس أكثر.

ثم سينعم الجميع بمكان مريح وستقدم كل الاحتياجات وثلاث وجبات يومية، عدا عن الراتب الأولي الذي سيدفع. جميلة هي الحياة بألمانيا.

«أخيراً انتهت الإجراءات وتم الفرز، أحلام وردية داعبت مخيلة كل منهم عن جمال المكان واستعادة الرفاهية بعد استبعادها خلال أيام السفر. كانت عدة حافلات بكل منها ٥٤ لاجئ، مدخل الكمب كان مثيراً للريبة، خيام وخيام وخيام. الجميع صامت وواجم.

(هل يعقل!!) ما العمل؟! ماذا لو كانت إقامتنا في خيمة، هل يعقل أن نكون بتلك الكبيرة جداً، إننا عائلة، لكن في الداخل أيضا عائلات ومعهم رضع. بدأ توزيع الوافدين إلى أماكن الإقامة.

يعتذر الموظف عن عدم توفر غرف بالبناء وأن المتاح هو الخيام فقط، وأن الإقامة هنا لن تكون طويلة فالإجراءات سريعة والخدمات ممتازة كما أن الخيمة مجهزة بالإنارة والتدفئة والأسرة ولا تفرق عن أي غرفة.

كانت العائلة مؤلفة من سبعة أشخاص وهذا يعني أن يكونوا معا وربما لن يقيم بينهم غريب، لكن الخيمة الصغيرة تتسع إلى ١٤ شخص، (سيكون معكم عائلة صغيرة من أربع أشخاص، نعتذر لعدم توفر مكان خاص)، يقول الوظف،

تجيبه العائلة بكاملها: (لكننا لا نستطيع، لا يمكننا الإقامة في خيمة ومع آخرين.. لا يمكن) يسأل الموظف من أين أنتم، يأتي المترجم ويرشدهم إلى موظف سوري ربما يستطيع المساعدة، ويهمس في أذن الرجل (تفاهموا مع الموظف هو سوري وقبضاي وبيطلع بإيدو لو قصد) ابتسم الجميع..

هو الحل السحري في ألمانيا أيضاً. إذا لا مشكلة.

تم التعارف مع الموظف مع أطيب التمنيات التي تليق بأولاد البلد كما تم الاتفاق (الغرفة لقاء ٢٠٠€ بالشهر) وهي الغرف محجوزة الكن..

انتهى الكابوس ونعمت العائلة بمكان مريح وباب يقفل وليس من غريب بينهم. هكذا تصورت العائلة المترفة، ولم تعرف أن الكابوس ابتدأ، حيث أن الموظف الخدوم، قام بتسجيل محادثتهم واتفاقهم وقام بتقديمها لإدارة الكمب.

هديل سمان

ليفربول يحسم موقعة القمّة على حساب تشيلسي

خرج ليفربول من معركته أمام مضيفه تشيلسي فائزاً ٢-١ مساء الجمعة الفائت على ملعب «ستامفورد بريدج» في الجولة الخامسة من الدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم. ويعدّ هذا الفوز هو الثالث لليفربول في الدوري هذا الموسم مقابل تعادل وخسارة، ليرفع رصيده إلى ١٠ نقاط، وهو الرصيد ذاته الذي يحمله تشيلسي بعد تلقّي هزيمته الأولى هذا الموسم.

وفي مباراة كبيرة مثل تلك، علينا أن ننتبه لأدقّ التفاصيل فهي دائماً «عنصر الحسم»

هكذا تحدّث كونتي عقب المباراة، فيما وصف كلوب المباراة قائلاً: «قدّمنا شوطاً أوّل ممتاز على جميع الأصعدة، صنعنا الفرص ودافعنا بشكل جيّد، لكنّنا لم نحسن التصرّف في الشوط الثاني كفريق كبير وتراجعنا.

الشئ ونقيضه رغم اتّباع نفس النهج

يورجن كلوب وأنطونيو كونتي في مباراة اليوم قدّما الشيء ونقيضه تماماً رغم أنّهما ينتهجان طريقة لعب واحدة وهي ٤-١-٤-١، كلوب في حالة قيام الخصم بعمليّة البناء يقوم بتطبيق الضغط العالي على دفاع تشيلسي الذي لا يملك «بونوتشي أو كيلليني» للخروج بالكرة بشكلٍ سليمٍ في ظلّ الضغط فكان دييجو كوستا معزولاً تماماً، حيث مرّر الكرة في الشوط الأوّل كاملاً ٨ مرّات فقط منها ثلاث ركلات بداية، وفي حالة الهجوم فور فقد الكرة يتحوّل أقرب اللاعبين لمكان وجود الكرة إلى الضغط بشكل قويّ وجماعيّ للاستخلاص ومنع بناء المرتدّة.

على النقيض كان فريق كونتي تحت الكرة وهذا ليس بالأمر السئ ولكن الأمر الأسوأ كان التمركز المتأخّر بشكل مبالغ فيه لدرجة أن وصل خطّ دفاعه داخل المنطقة وخطّ وسطه على حدودها، وحتّى يخرج لاعبو الوسط لتطبيق الضغط يحدث ما حدث بالتصويب وتسجيل الهدف الثاني في مرّة وإرسال العرضيّة وتسجيل الأوّل في مرّة أخرى.

التغيير الأوّل لتشيلسي بين الشوطين

نعم، لم يُجر أنطونيو كونتي أيّة تغييرات بين شوطي المباراة ولكنّه قام بتغيير طريقة اللعب، إذ حرر اللاعب أوسكار من مركز ٨ في وسط الملعب إلى مركز ١٠ صانع لعب خلف كوستا المهاجم فباتت الطريقة ٤-٢-٣-١ مع إعطاء الحرّيّة لانطلاقات ماتيتش وهو ما نجح بالفعل وأحرز منه الفريق هدفه الأوّل والأوحد.

تأخّر دائم

منذ أن تولّى كونتي قيادة الفريق اللندنيّ ودائماً ما يتأخّر في إجراء التغييرات حتّى الـ١٥ دقيقة الأخيرة من المباراة، ولكنّه اليوم بدأ تغييراته الثلاثة والتي تمّت دفعة واحدة في الدقيقة ٨٣ وهو أمر غريب للغاية، نعم الفريق تحسّن في الشوط الثاني ولكنّ التغيير كان مطلوباً مبكراً خاصّة فابريجاس.

ويُعد تشيلسي أوّل فريق في البريميرليج يقوم بإجراء تغييراته دفعة واحدة منذ نوفمبر ٢٠١٥.

التفاصيل الصغيرة في المواجهات الكبيرة تحدّث كونتي عن أهمّيّة الانتباه للتفاصيل الصغيرة في مثل تلك المباريات التي عادة ما تحسمها أدقّ التفاصيل، بالفعل الهدف الأوّل جاء بتنفيذ ركلة حرّة بشكل مفاجئ أربك حسابات تشيلسي، والهدف الثاني جاء بتمركز دفاعيّ متأخّر في رمية تماس تمّ إبعادها بشكل خاطئ على حدود المنطقة ليسدّدها هندرسون بكلّ إتقان.

ليفربول مع كلوب

منذ أن تولّى يورجن كلوب قيادة الفريق استطاع ليفربول إحراز ١٥ هدفاً من خارج منطقة الجزاء أكثر من أيّ فريق إنجليزي آخر في تلك الفترة. هندرسون بات اللاعب رقم ٢٠ في تاريخ ليفربول الذي سجّل في البريميرليج مع الفريق أكثر من ٢٠ هدف. ليفربول سجّل في ١٨ مباراة من آخر ١٩ مباراة خاضها في الدوري، إذ لم يسجّل فقط أمام بيرنلي.

عامل مشترك

اشترك الفريقان في تشكيلتيهما الأساسيّة بإشراك لاعب يلعب بالقدم اليمنى في الجبهة اليسرى كظهير أيسر، في ليفربول كان ميلنر بينما في تشيلسي كان أزبليكويتا..

كلمة الرياضة

«بوركتم يارجال الوطن».. كم كان صوتك كاذباً يا أبا لؤي

كلّما وردني خبر استشهاد أو إصابة أو اعتقال لاعب كرة قدم سوريّ خصوصاً، أو رياضيّ بلعبة ثانية عموماً (من القدماء أو الشباب الحاليين) أجد نفسي متوجّها إلى صفحات اليوتيوب لأستعيد بعض الفيديوهات واللقطات القديمة للمنتخبات السوريّة والأندية بصوت المرحوم عدنان بوظو.

ولدى تسجيل الأهداف كان بوظو يردّد بصوت قويّ «بوركتم يأبناء الوطن.. بارك الله تعبكم يارجال هذا الوطن» وسرعان ما أعود إلى صور ومنشورات الشهداء لأتأكّد أكثر أنّ أبناء ورجال الوطن يقتلون يوميًّا ويسجنون ويعاقبون على طلبهم للحرّيّة، لأجد أرقام الضحايا من الرياضيّين السوريّين الأحرار ترتفع أكثر فأكثر.

وفي آخر إحصائيّة لضحايا الرياضيّين السوريّين الأحرار، بحسب مصادر الهيئة العامّة للرياضة والشباب، فقد قتل النظام ٣٧٨ رياضيًّا من مختلف الاختصاصات والأعمار والألعاب (في الشهر الأخير ٢٠ رياضيًّا من ٤ محافظات) بالإضافة إلى اعتقال أكثر من ١٥٠رياضيًّا منذ ٤ سنوات إلى الآن، منهم الدكتورة رانيا العبّاسي بطلة سورية والعرب برياضة الشطرنج مع عائلتها، ولاعب كرة السلّة في نادي الجيش والمنتخب سامح سرور، ونجم نادي الكرامة الحمصي جهاد قصّاب، وعدد كبير من الرياضيين أيضاً.

حالهم كحال عدنان بوظو، الذي سكت ولم يتحدّث عن اعتقال الفارس السوريّ عدنان قصّار القسريّ، ولا عن الظروف الصعبة التي مرّ بها الجيل الرياضيّ في مدينة حماه بعد عام ١٩٨٠، والإزعاجات التي كانت تحدث دائماً لنادي الجهاد من مدينة القامشلي، ولا عن تدخّلات أندية جبلة وتشرين بكلّ مفاصل كرة القدم السوريّة، وانتزاعهم وتهديدهم لحكام المباريات والمسابقات وسحبهم للاعبين إلى أنديتهم عنوة، تلك الأندية التي كانت مزارع خاصّة في مجالس إدارتها لعائلة الأسد وعائلة مخلوف.

رجال الوطن وشجعانه يُقتلون اليوم ويُعذّبون يا أبا لؤي! والتنكيل بهم وإذلالهم ليس وليد الثورة فقط، بل منذ أن كنت أنت ومن معك أصحاب صولات وجولات أمام القيادة الحكيمة، يا أبا لؤي!

وحيث أنّك اليوم، لم تعد موجوداً على قيد الحياة، فقد استلم دفّة الصراخ والتهليل للوطن وقيادته تلاميذك، بنفس نوع الصمت، وبنفس مقدار الخوف، وبنفس آليّة التقديس يا أبا لؤي! كم كان صوتك كاذباً يا عدنان بوظو! ..

كم كنت مخلصاً للقيادة الحكيمة يا أستاذ عدنان!

كلّما بدأت النشر وتعميم الأخبار حول الشهداء الرياضيّين أو المعتقلين الجدد، كلّما بلغت اليقين عن وضاعة وسفالة وحقارة البعض من الإعلاميّين الرياضيّين السوريّين الموجودين في دول عربيّة وفي دول أوروبيّة، الذين لا يهمّهم من أمر من يموت أو يعتقل أو يختفي أيّ أحد.

عروة قنواتي

"دورة المحبّة" للكرة الطائرة تنطلق في ريف محافظة إدلب

برعاية الهيئة العامّة للرياضة والشباب وبإشراف الاتّحاد السوريّ الحرّ للكرة الطائرة وضمن استعداد فرق وأندية الشمال السوريّ للدوري التصنيفيّ.

أطلق نادي معرشورين الرياضيّ في ريف محافظة إدلب الجمعة الفائت «دورة المحبّة للكرة الطائرة»

بمشاركة اثني عشر فريقاً وبحضور رؤساء الفرق والأندية تمّ عقد اجتماع مبدئيّ حيث تمّ تقسيم الفرق إلى ثلاث مجموعات،

وقامت اللجنة المنظّمة للدوري بتجهيز الأدوات والمعدّات اللازمة لنجاح العمل.

المباراة الافتتاحيّة جمعت فريقي معرشورين صاحب الأرض والجمهور وفريق التمانعة،

وانتهت بفوز نادي معرشورين بثلاثة أشواط نظيفة، ولوحظ في المباراة الحضور الجماهيريّ الكبير وحضور ممثّلين من الاتّحاد الرياضيّ للكرة الطائرة.

كما جرت يوم السبت الماضي مباراتان أيضاً، جمعت الأولى نادي المجد ونادي دير شرقي، وانتهت بفوز الأوّل بثلاثة أشواط مقابل لا شيء،

والمباراة الثانية بين نادي معارة حرمة ونادي معصران، وانتهت لصالح معارة حرمة بثلاثة أشواط مقابل لا شيء.

درعا البلد يهزم الحراك ويتقدّم بالترتيب في دوري

ضمن مراحل الاياب من عمر الدوري التصنيفي لكرة القدم في محافظة درعا، أقيمت أوّل أمس مباراتان ضمن هذه المجموعة في نفس التوقيت .

المباراة الأولى كانت بين نادي «درعا» المستضيف ونادي «الحراك» الضيف وانتهت بثلاثة أهداف مقابل هدف لنادي «درعا»

وسجّل لنادي «درعا» كلّ من: موسى أبو عون، قاسم مسالمة، إبراهيم خلف أبو نبّوت. وسجّل لنادي «الحراك» اللاعب: محمّد عبدالمولى المفلح. أشهر حكم المباراة ثلاث بطاقات صفراء/ بطاقتان كانتا من نصيب لاعبي نادي «درعا « نضال البرماوي، يوسف المسالمة، فيما كانت البطاقة الثالثة للاعب نادي «الحراك» محمّد خالد الزعبي. قاد المباراة طاقم الحكام: أحمد الرفاعي، حكماً للساحة، وماهر الراضي، مساعداً أوّل، وعصام محاميد مساعداً ثانياً، والحكم الرابع يوسف مسالمة.

أمّا المباراة الثانية، فجمعت بين نادي «الكرك» المستضيف ونادي «الشعلة « الضيف، وانتهت المباراة بفوز نادي «الكرك» بهدفين مقابل هدف. سجّل لنادي «الكرك» بواسطة اللاعبين: أسامة فنيش وبلال السكّري، فيما سجّل لنادي «الشعلة» اللاعب: مالك أكراد .

قاد المباراة طاقم الحكام: حمزة البقاعي، حكماً للساحة، وإبراهيم الحريري مساعداً أوّل، والحكم علاء عمّارين مساعداً ثانياً.

وفي مباراة القمّة للمجموعة (أ) التي جمعت الجارين العريقين في ديربي «الأوسط» بين نادي «طفس» المستضيف و نادي «المزيريب» الضيف، انتهى هذا الديربي بفوز طفس، بهدف نظيف بتوقيع اللاعب المتميز أسامة كيوان، وشهدت المباراة حضوراً جماهيريًّا غفيراً، وأشهر الحكم في هذه المباراة ثلاث بطاقات صفراء كانت من نصيب لاعبين من نادي «طفس» أسامة كيوان، محمّد حريدين، أيسر الرفاعي، وقاد المباراة طاقم الحكام: خالد قطليش، حكماً للساحة والحكم سامر العميان مساعداً أوّل، والحكم المساعد الثاني محمّد العميان، والحكم الرابع سمير الحاري.

وأقيمت يوم الخميس الفائت، في تمام الساعة الرابعة عصراً، مباراة جمعت بين ناديي «الوحدة» و «عتمان» وأتت هذه المباراة ضمن مرحلة الإياب من منافسات المجموعة (أ) من الدوري العام « الدوري التصنيفي» لكرة القدم في محافظة درعا.

انتهت المباراة بثلاثيّة نظيفة لصالح نادي «عتمان» سجّل الأهداف: محمود المصري هدف، رأفت النحّاس هدفين.

الإنذارات للوحدة: سمير يوسف و موفق السعيد

حكام المباراة: حكم الساحة: عدنان الربداوي - حكم مساعد١ محمّد القرفان - حكم مساعد٢ : أحمد الغانم - حكم رابع : حمدي جباوي. الملعب: أرض ملعب نادي الوحدة الرياضي».

الصفحة من إعداد عروة قنواتي

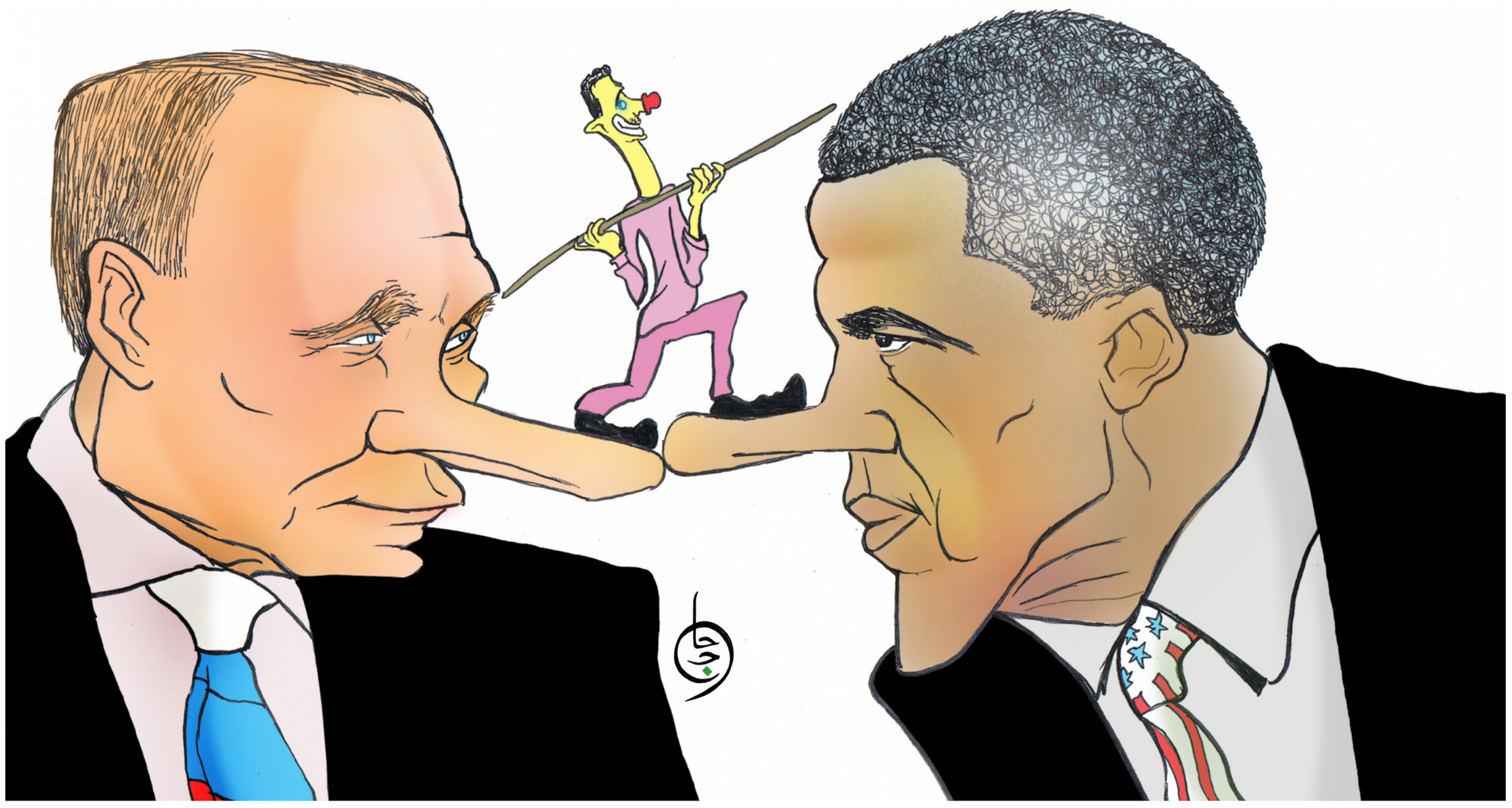

الفنان سعد حاجو

عن شبكة جيرون الإعلامية

عبد السلام حلوم... للذكرى وأشياء أخرى!!

ربما هرمت الذاكرة قليلاً، ولكن لا بأس، فربما خير الذكريات ما تعتّق في خابية الزمن..

أذكر..

ذات ظهيرة في عام ١٩٨٤ وفي مقصف كلية الآداب كان تعارفنا الأول عن قرب، كنت قبلها شاهدته يُلقي قصائده على مدرج المتنبي في الكلية ضمن الملتقى الأدبي لشباب جامعة حلب، شربنا فنجاناً من القهوة الباردة على عادة ما كانت تقدمه مقاصف الجامعة حينها، كنت هارباً من محاضرة جوفاء لأستاذ ممل، وكان خارجاً من بلباسه العسكري من دروسنا العسكرية، التي كان النظام وفي محاولته لعسكرة لمجتمع يفرض على الطلبة الجامعيين مادة للتدريب العسكري، مادة مثل علم اللغة أو علم الجمال!!

كنت أجلس وحيداً لأن المخبرات والمخبرين من الزملاء الطلبة كانوا يحتلون أغلب الطاولات، جال بعينيه في أرجاء المقصف واختار طاولتي هارباً مثلي من العسس المتثاقف.

تحدثنا كثيراً عن الشعر والوطن والنساء، كان حديثاً دافئاً حينها، لم ينقطع بعدها حتى يومنا هذا..

نتحدث في كل شيء، نختلف في تفاصيل ونتفق في أخرى، نختلف في المقهى حول قصة ما، لنتصالح بعدها بقليل مع شفة الكأس الأولى في الحانات الفقيرة التي جمعتنا، يكره السياسة بينما كنت مشغولاً فيها، يشدني نحو الإبداع وأحاول شده نحو السياسة، وأذكر كيف ضحكت عيونه حينما أخبرته أنني انسحبت من العمل السياسي وشكّلت مع صديقنا بشار فستق فرقة للمسرح الجامعي، رفع الكأس عالياً وقال: هنا مكانك..

ثلاثين سنة ويزيد كان نديمي وكنت نديمه، ربما كنت أول من يسمع قصائده الجديدة فأشعر بمتعة المكتشف الأول..

تشاركنا في بيوت كثيرة في المدينة التي كانت لا تنام ولا تجعلنا ننام، في حلب، عشنا كما يجب لوافد إليها أن يعيش، عشقنا حجر حاراتها القديم، مقاهيها الكثيرة، باراتها الشعبية.. حاناتها العتيقة، عقدنا الصداقات مع النادلين الطيبين، استدنا منهم ذات ضائقة، غنينا المواليا السراقبية والقدود الحلبية وأغاني الحب الكردية، رقصنا وراقصتنا الأرض..

ما زلت أذكر الكثير من قصائده التي أهملها ولم ينشرها، وللمفارقة أتذكرها في حين ربما نسيها هو في غمرة إخلاصه للقصيدة، والقصيدة وحدها، بعيداً عن شلل المثقفين وحروبهم الباهتة، حتى أنه اختار مقهى شعبياً غير مقاهي المثقفين والمتثاقفين وما بينهما من المدعين الذين توزعوا ما بين مقهى القصر ومقهى الموعد والفندق السياحي وقصر جحا، قبل أن تغلق صالة القصر أبوابها وتتحول الموعد إلى «الفانوس» وتصبح «قصر جحا» و «السياحي» كتلة من خراب بعد أن دمرتهما الحرب.

كان يقول وما يزال حين أدعوه لبذل جهد في تسويق اسمه كشاعر: «أنا شاعر، لا أملك إلا نصّي، وهو الذي يقدمني للآخرين». أصدر مجموعته الأولى «مديح شاسع للقش» في عام ١٩٩١ وكنت المخرج الفني لنصوصه على الورق، واستمر الحال هكذا في باقي إصداراته من كتب الشعر حيث كنت شريكه في مرحلة ما بعد ولادة النص حتى ولادته على شكل كتاب.. هكذا فعلنا مع «كانات الرجل» ومع «الحائط» ومع «يسمونه عندنا» ومع «كما غداً» وربما هذا ما سنفعله حينما سنجمّع ما كتبه خلال السنوات الأربع الأخيرة من نصوص ما زالت حرة تطير عبر الفضاء الافتراضي ولم تُجمع في كتاب بعد.

لن أكون مجانباً للحقيقة لو قلت أن هذه النصوص ربما تكون من أجمل ما قرأت في الكتابة عن سوريا، عن ناسها، وحجرها، وشجرها، عن الموت الذي عشعش فيها، عن الحرب والأمراء، عن الطغاة الذين يتوالدون في العتم..

لا يمكنني الإطالة ولا يمكنني الاختصار!!

ها أنا أختصر ٣٢ سنة من الحياة المشتركة اليومية وبما يعادل خمس عشرة كلمة عن السنة الواحدة...

ألم نقل ذات يوم: ليس غير الفن بوابة عبور لأرواحنا المتعبة نحو حلم بعالم أجمل...

حسين برو

وداعاً للأنترنت اللاسلكي البطيء مع «ميجا ميمو» في الزحام

طوّر فريق من الباحثين منظومة شبكات محلّيّة لاسلكيّة (واي فاي) يمكنها تسريع عمليّة نقل البيانات على الشبكات المكدّسة بالمستخدمين. ويطلق على المنظومة الجديدة اسم «ميجا ميمو ٢,٠» ويمكنها نقل البيانات بسرعة تزيد بمعدّل ثلاثة أضعاف عن سرعة الشبكات المحلّيّة اللاسلكيّة المستخدمة حالياً.

أمسية ثقافيّة سوريّة في بلجيكا

أقيمت في مدينة «خينت» البلجيكيّة التاريخيّة أمسية ثقافيّة، استضيف من خلالها السوريّان الشاعر نوري الجرّاح والكاتب والإعلاميّ إبراهيم الجبين، تحت عنوان «الحرب السوريّة، كلام فيما يعجز الكلامُ عنه»، وخلالها تحدّث الضيفان للجمهور الأوربّيّ عن الثورة السوريّة، بعد أكثر من نصف مليون قتيل من الأطفال والنساء وكبار السن.

الجنس مفيد للنساء خطر على الرجال

أظهرت دراسة لتأثير المواقعة الجنسيّة على قلوب النساء اللواتي جاوزت أعمارهن السابعة والخمسين، أنّها ستقلّل نسبة تعرّضهن لارتفاع ضغط الدم إذا ما تكرّرت مواقعتهن الجنسيّة مع بعولهنّ أسبوعيًّا. وكشفت نفس الدراسة أنّ الرجال المسنّين هم أكثر تعرُّضا لحوادث تصلّب الشرايين المفاجئة بنسبة مرّتين من زوجاتهم إذا مارسوا معهنّ الجنس لمرّة واحدة أسبوعيًّا على الأقلّ.

سامر أبو النور عازف العود على كورنيش بيروت

لجأ أبو النور من ريف إدلب إلى بيروت عام ٢٠١٢، يجلس يوميًّا مع ابنته التي لم تتجاوز الثالثة إلى جانبه على الكورنيش. هو يعزف وهي تنشد أغنية فيروز:

«نسّم علينا الهوا، من مفرق الوادي، يا هوا دخل الهوا، خدني على بلادي».

أبو النور يسكن في غرفة خربة في محلّة الأوزاعي، مع زوجته وأبنائه الثلاثة.

قهوة «خارقة» أقوى من الإسبريسو بـ ٨٠ مرّة

يقدّم أحد المقاهي في مدينة أديلايد، في أستراليا، قهوة باسم «Asskicker» تحتوي على ٨٠ مرّة ضعف كميّة الكافيّين الموجودة في جرعة القهوة العاديّة.

إذ يحتوي كوب من قهوة الإسبرسو، نحو ٦٣ ملليغراماً من الكافيين، فإنّ هذا النوع من القهوة يحتوي ٥ غرامات، بحسب صاحب المقهى.

الجاهليّون في كتاب جديد

صدر مؤخّرا عن دار فضاءات كتاب «المأسويّ في شعر الجاهليّين» للدكتور حكمة شافي الأسعد. هو شاعر وكاتب من حمص، درس في جامعة حلب كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، درّس في جامعة الفرات، يقيم حاليًّا في إستانبول.

يقول:في غيابكِ استبدلتُ بحنجرتي حنجرةَ فأسٍ مسنونةٍ .....ها هي ذي الكلمات تخرج من فمي حادَّةً.. حادّةْ ....تستطيعُ الآن كلمةُ (الحنين) أن تقطع ثلاثةَ أغصانٍ بضربةٍ واحدةْ.

رئيس التحرير
بسام يوسف
مدير التحرير
بشّار فستق
المحرر التنفيذي
حسين برو
الاخراج الفني
مازن عودة
هيئة التحرير
غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
العلاقات العامة
نور العبدالله
الصفحة الرياضية
عروة قنواتي
الموقع الإلكتروني
محمد الشبلي
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة